
قافلة الزيت
صفر ١٤٠٣هـ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٢م
ندوة عن النخيل في :
رحاب جامعة
الملك فيصل
بالأحساء



توفير الدم أمر يتولاه القائمون على بنك الدم في مستشفى الخبر التعليمي .

تصوير : جون تشامبني

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الثاني / المجلد الحادي و الثلاثون

صفر ١٤٠٣هـ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٢م

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها
ادارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

تــوزع مجــانــاً

المدير العام : فيصل محمد البسام

المدير المسؤول : إسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد : عوني ابو كشك

• جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.

• كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب انفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.

• يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.

• لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

صورة الغلاف :

كانت النخلة مصدر الغذاء الرئيسي للآباء والأجداد الذين عرفوا أهميتها فأكرموها و رفعوا من شأنها .

تصوير : علي المبارك

طباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM



٨



٢٠

دين التوازن بين الروحية والمادية

بقلم: د. أحمد جمال العمري / القاهرة

في كتاب الله الكريم . . آيتان كريمتان ، تعبران أدق تعبير ، وتصوران أعظم تصوير حقيقة الاسلام وجوهره . هاتان الآيتان هما قول الحق تبارك وتعالى في سورة الجمعة : « **يا أيهـا الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** » (١) .

اننا اذا تدبرنا بامعان هاتين الآيتين الكريمتين ، نجد أنهما تحويان مبدأ هاماً من مبادىء الاسلام ، وتبرزان خصيصة من أسمى خصائصه . .

فالاسلام كما تصوره هاتان الآيتان : دين عبادة . . ودين عمل ، بل هو عمل وبيع قبل الصلاة ، ثم صلاة وسعي الى ذكر الله ، وبعد انقضاء الصلاة انتشار في الأرض ، وابتغاء من فضل الله ، وفضل الله هنا هو الرزق الحلال ، والكسب الشريف .

لذلك قلنا ان الاسلام يجمع بين الروحية والمادية ، بين العبادة والسعي في طلب الرزق ، يجمع بين أمور الدين والدنيا ، ومن هنا نصل الى منطلقنا فنقرر حقيقة هامة ، وهي : ان الاسلام دين التوازن والاعتدال بين النواحي الروحية والنواحي المادية ، وأن الحق — تبارك اسمه — شرع الاسلام لاصلاح ما أفسده محرّفو الأديان السابقة في مجال العبادة .

فحينما أراد الله — سبحانه وتعالى — أن يبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم — خاتم النبيين بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، كان في العالم ألوان من الشعائر والعبادات ، بعضها بقايا أديان سماوية قديمة ، وبعضها اضافات وابتداعات أرضية جديدة ، أديان بالغت في الرسوم والشكليات ، ففقدت الروح والاخلاص ، وأديان تحررت من كل رسم وشكل ، ففقدت معنى التعبد ، أديان تزمّتت وتشددت حتى لكأنها اصر واغلال . . وأخرى ترخصت وغلت في الترخيص حتى لكأنها لهو ولعب . .

وجاء الاسلام . . جاء الاسلام بوجهه السمح المشرق ، فلم يمل مع المغالين ، ولم ينحرف الى المقصرين ، بل جاء كما شرعه الله « **ديناً قيماً** » لا عوج فيـه ، ولا غلو ولا تقصير ، كان كما خاطب الله رسوله — صلى الله عليه وسلم :

« **قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم ، ديناً قيماً ملّة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين ، قل أغير الله أبغي ربّاً وهو رب كل شيءٌ** » **(٢)**

جاء الاسلام يحمل في جعبته توجيهات عدة ، ومبادىء اصلاحية جمة ، كانت الدعائم القوية التي ارتكز عليها صرح العبادة . من أهم هذه المبادىء : التوازن والاعتدال بين متطلبات الروح وحاجة الجسد ، توازن واعتدال بين الروحيات والماديات ، بين الدين والدنيا ، بخلاف غيره من الأديان .

اننا اذا نظرنا في أسفار التوراة التي بين أيدينا ، نجد أنها لا تكاد تحمل أثراً للروحانية ، ولا نكاد نرى للآخرة بين ثناياها مكاناً ، حتى الوعد والوعيد في أسفار التوراة للمطيعين والعصاة — انما يتعلقان بأمور دنيوية فقط ، وتكاد تستأثر بها النزعة المادية الخالصة . فالخصب والنماء ، والصحة والثراء ، وطول العمر والبقاء . . وغير ذلك من الأمور الدنيوية الحسية هي المثوبات ، التي تبشر بها التوراة من نفّذ أحكام الناموس ، وأضداد هذه الأمور . . كالجدب ، والمرض ، والموت ، والوباء ، والفقر . . للذين يعرضون عن الشريعة فلنقرأ هذه النصوص لندرك هذه الحقيقة :

- « احترموا آباءكم وأمهاتكم لتعمروا طويلا على الأرض » .
- « اعبدوا ربكم الاله الأزلي وهو يبارك خبزكم وماءكم ويبعد عنكم العلل والأدواء » .
- « اذا أطعتم أمري وحفظتم وصبتي فسأبعث عليكم الأمطار في أوقاتها ، فتخرج الأرض ثمرتها » .

فليس للأجزية الروحية والأخروية مكان في التوراة . . العهد القديم . فاذا تصفحنا الأنجيل — وهو العهد ، نجد أن هناك تحقيراً مفرطاً بشأن الدنيا ، ونجد دعوة قوية الى الغاء قيمة هذه الدنيا ، واعتبارها بمثابة منفى للانسان . . أما طلب النجاة والسعادة فهناك — في العالم الآخر ، حيث تقوم مملكة السماء ، فمن أراد ملكوت السماء فليعرض عن هذه الأرض ، ومن أراد العالم الآخر ، فليرفض هذه الدنيا ، **جاء في الانجيل :** « لا يدخل غني في ملكوت السموات

(١) الجمعة ٩ ، ١٠ .

(٢) الأنعام ١٦١ .

حتى يدخل الجمل في سم الخياط » .

وقال المسيح عيسى بن مريم لشاب أراد أن يؤمن به :

« اذا أردت أن تكون كاملا ، فاذهب وبع كل ما تملك واعطه للفقراء ، ثم تعال واتبعني »

.. وقال لتلاميذه :

« وأنتم فلا تبحثوا عما تأكلون وما تشربون ، ولا تهتموا لذلك ، لأن هذه الأشياء انما يبحث عنها غير المؤمنين » .

وهكذا لا نحس – في الانجيل – أن لنا في الدنيا نصيباً . .

ولم تقف دعوة الانجيل الى التقشف والزهد واهمال الحياة الدنيوية عند هذا الحد ، بل ابتدع اتباع النصرانية « نظام الرهبنة » بما فيه من قسوة على النفس ، وكبت للغرائز ، بتحريم الزواج ، ومصادرة الزينة .

هكذا كانت اليهودية في اغفالها للآخرة والروح . .

وهكذا كانت المسيحية في تحقيرها للدنيا واذلال الجسد . .

فلما نزل القرآن العظيم على قلب النبي الأمي صلى الله عليه وسلم ، حمل معه مبادىء تشريعية كثيرة ، وتعاليم شعائرية جديدة ، كانت سمته الأولى : التوازن والاعتدال ، في كل النواحي والآفاق ، الاعتدال الذي يليق برسالة هامة خالدة ، جاءت لتسع أقطار الأرض ، وتكفي أطوار الزمن ، وتشرع لشتى الأجناس والطبقات . .

نزل القرآن يحمل تحت أعطافه الاعتدال بين أشواق الروح . . وشهوات الجسد ، بين بواعث الدين ، ومطالب الدنيا ، بين العمل لهذه الحياة ، والعمل لما بعد الحياة . . نزل القرآن فلم يطلب من المسلم أن يكون راهباً في دير ، أو عابداً في خلوة ، لم يطلب من المسلم أن يظل ليله قائماً ، ونهاره صائماً ، ولم يطالبه بأن يكون كل صمته فكراً ، وكل كلامه ذكراً ، لاحظ له في الحياة ، ولا حظ للحياة فيه . .

وانما طلب القرآن من المسلم أن يكون انساناً عاملاً في الحياة ، يعمّرها ويرقيها ، ويدفع عجلتها الى الامام ، طلب القرآن من المسلم أن يسعى في مناكب الأرض ، ويلتمس الرزق الطيب في أرجائها « **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** » **(٣)** .

بيد ان على هذا المسلم التزاماً وهو . . ألا تلهيه مطالب الحياة ، أو ملذاتها عن واهب الحياة ذاتها ، عليه ألا يشغله حق الجسد عن حق الروح ، عليه ألا تشغله رغائب الدنيا الفانية عن حقائق الآخرة الباقية ، عليه ألا ينسى الله فينسى حقيقة نفسه ، وقيمة وجوده . .

يقول رب العزة والجلال : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون** » **(٤)**

قال ابن القيم – رحمه الله – في هذه الآية :

« تأمل هذه الآية تجد تحتها معنى شريفاً عظيماً ، وهو أن من نسى ربه أنساه ذاته ونفسه فلم يعرف حقيقته ، ولا مصالحه ، بل نسى ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده ، فصار معطلا مهملا ، بمنزلة الأنعام السائبة ، بل ربما كانت الأنعام أخبر بمصالحها منه ، لبقائها على هداها الذي أعطاه اياها خالقها ، وأما هذا فخرج عن فطرته التي خلق عليها ، فنسى ربه فأنساه نفسه وصفاتها ، وما تكمل به وتسعد به في معاشها ومعادها .

قال الله تعالى : « **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** » **(٥)** فغفل عن ذكر ربه ، فانفرط عليه أمره وقلبه ، فلا التفات الى مصالحه وكماله ، وما تزكو به نفسه وقلبه ، بل هو مشتت القلب مضيعه ، مفرط الأمر ، حيران لا يهتدي سبيلا .

ان مهمة العبادات في الاسلام – كما وضحها القرآن – أن تأخذ بيد الانسان حتى لا تغرقه أعمال الدنيا في لجة النسيان ، حيث ينسى الله ، فينسيه الله نفسه . مهمة العبادات أن تقوم بالتنبيه والتذكير عن نسي مولاه ، أو غفل عن أخراه ، ثم تدع الانسان يعود بعد أدائها الى دنياه ، يلقاها ساعياً جاهداً .

ثم ان رواد المساجد في الاسلام ليسوا دراويش متعطلين ، ولا رهباناً متبطلين ، وانما هم كما وصفهم القرآن : « **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار** » **(٦)** .

فهم اناس لهم دنياهم وأعمالهم ، ولكن ذلك لم يلههم عن حق الله تعالى . صحيح أن الله قد فرض على الناس أن يعبدوه ، ويتقربوا اليه ، ولكن غلو المرء في العبادة أمر يرفضه الاسلام . . ورسول السلام .

روى أنس بن مالك : أن رهطاً جاءوا الى بيوت أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – يسألون عن عبادته ، ويبدو أنهم كانوا يتصورونه عليه الصلاة والسلام راكعاً ساجداً أبداً . كل ليله قيام ، وكل أيامه صيام ، ليس لعينه حظ من نوم ، ولا لجسده حظ من راحة ، ولا لنسائه حظ من قربه . . فلما أخبرتهم زوجاته بعبادته ، كأنهم تقالوها ولم تشبع نهمهم للعبادة ، فقالوا : وأين نحن من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً ، وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال : أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا ؟ . . أما والله اني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وهكذا عرفهم الرسول الكريم حقيقة الاسلام ، دين لا ينعزل عن الدنيا ، ودنيا لا تحيف على الدين ، وانما هو دين التوازن بين الروحية والمادية □

(٣) سورة الملك ١٥ .

(٤) سورة الحشر ١٨ ، ١٩ .

(٥) سورة الكهف ٢٨ .

(٦) سورة النور ٣٧ .

العلوم والمعارف في الفكر العربي الإسلامي واعتمادها على التجربة والمعاينة

بقلم : الأستاذ محمد عبد الغني حسن / القاهرة

ليس هناك من ينكر ما للعرب من فضل في مساندة التطور العالمي للعلم العملي والتطبيقي ، لا نستطيع أن نغفل أسماء بارزة كرست جهودها لإبراز هذه الناحية الهامة في تاريخ التمدن الإسلامي ، وكشفت عن نواح دقيقة لمشاركات عربية اسلامية في ميدان العلوم المختلفة التي أسهمت في التقدم البشري .

والكثير من هذه الأسماء لا يمت إلى العروبة بعرق ، ولا إلى الإسلام بنسب ، ولكنه الانصاف الذي يدعو أهله إلى قولة الحق ، بغير انتماء جنسي ، أو انتساب ديني .

فأشخاص مثل « سارطون » و « الدومييلي » و « دونالد كامبل » في بحثه الجيد عن الطب العربي ، و « ماكس مايرهوف » في دراسته الجيدة عن العلم والطب عند العرب ، و « لوسيان لوكلرك » في تاريخ الطب العربي ، و « أدوار براون » في مصنفه الجليل عن الطب عند العرب ، الذي ختمه « بول رينو » بترجمة دقيقة من الانجليزية إلى الفرنسية ، ووشحه بتعليقات واشارات بارعة جعلته يفوق الأصل الانجليزي ، و « فون ليبمان » في بحوثه الجيدة عن الكيمياء عند العرب ، و « نالينو » في دراسته الرائدة عن علم الفلك عند العرب ، و « أرنست جيرلاند » فيما كتبه عن علم الطبيعة عند العرب ، و « كراتشكوفسكي » في كتابه العظيم الضخم عن الجغرافية عند العرب ، و « سيديو » في نظراته النافذة إلى العلوم عند العرب في خلال كتابه الممتع عن « تاريخ العرب العام » وغيرهم من الباحثين الأوربيين والأمريكيين الذين كان لهم قصب السبق في هذا المجال .

على أنه بجانب هؤلاء الأجانب فئة أخرى من علماء العرب والإسلام المعاصرين قد دخلوا ميدان البحث عن تطور العلوم عند العرب ، فأبدعوا فيه على قدر ما أتيح لهم من مصادر ، مؤكدين بذلك أنهم أولى من غيرهم بالكشف عن روائع آبائهم ، ومنجزات أجدادهم . ولا نستطيع في هذا المقام أن نغفل ما كتبه جماعة من أمثال المرحومين : مصطفى نظيف عن الحسن بن الهيثم وعلم الطبيعة ، وقدري حافظ طوقان عن العلوم عند العرب والدكتور فيليب حتي في تاريخه المطول المركز عن العرب ، والمسلم المستغرب – بالغين المعجمة – « حيدر بامات » في كتابه الجليل : « مجالي الإسلام » الذي ترجمه صديقنا الراحل عادل زعيتر ، والباحث الطبيب الدمشقي أحمد شوكت الشطي الأستاذ في كلية الطب بدمشق فيما كتبه عن تاريخ الطب وتاريخ العلوم الطبيعية في الحضارة العربية الإسلامية .

وعلى الرغم مما عمق به المستشرقون والباحثون من العرب والمسلمين موضوعات البحث عن تطور العلوم العملية عند العرب والمسلمين خلال أربعة عشر قرنا ، وعلى الرغم من أوصافهم الدقيقة لمجالات هذه العلوم وآلاتها ومنجزاتها – على الرغم من ذلك كله فان ناحية هامة من نواحي البحث قد أغفلت ، أو أعطيت من العناية بها والالتفات إليها أقل كثيرا مما تستحقه ، وهي ناحية (المعاينة والتجربة) كوسيلة فعالة مجدية من وسائل البحث العلمي عند العرب . مع أنها كانت تستحق وقفة خاصة طويلة ، بأن يكتب فيها فصل من كتاب ، أو يؤلف فيها كتاب قائم برمته ، على أن يؤيد ذلك كله بما يدعمه من أخبار وحوادث قد تأتي عارضة في كتاب من كتب التاريخ العام ، أو كتب الطبقات ، وخاصة طبقات الحكماء والأطباء الذين ينتظمهم سلك التقدم العلمي في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية .

فالالتفات إلى ظاهرة (المعاينة والتجربة) في التاريخ الحضاري للعلوم العملية عند العرب والمسلمين لم يلق عند المستشرقين والباحثين هناك وهنا ما يستحقه ، وما يستوجب التأني في الوقوف عنده ، وما يستأهل الإشارة إليه والإشادة به في معرض الحديث عن تاريخ العلوم عند العرب .

ولا أدري سببا لهذا التغاضي والاغضاء عن هذه الظاهرة في تاريخ التمدن العربي الإسلامي . وكثيرا ما ساورني شك في أن يكون هذا الموقف مقصودا — وموضع استغراب في الوقت نفسه — من علماء مفروض فيهم أن يتجردوا كلية من بواعث التحيز والغرض اللذين لا ينتظر صدورهما من أهل النصفة واحقاق الحق .

لقد أشاد تاريخ العلوم في العالم كله ، بعالم مثل « فرنسوا رابليه » الفرنسي المتوفى سنة ١٥٥٣ م ، لأنه نادى في مثابرة وإصرار بضرورة نبذ المذهب الجدلي في التعليم والتربية ، وأن يستبدل به مذهب التجربة والاختبار في تحصيل المعرفة . كما أشاد تاريخ العلوم — بعد ذلك بقليل — بعالم مثل « فرنسيس بيكون » البريطاني المتوفى سنة ١٦٢٦ م ، لأنه دعا في حماس شديد إلى مذهب الملاحظة والتجربة في التعليم وكسب ألوان المعارف ، ونبذ الفلسفة الاسكولائية التي كانت سائدة حتى عصره ، والتي كانت تعتمد على القياس الأرسطي الذي ينتج ولا يساعد على انتاج علم جديد . وكتبت فصول ، وألفت كتب ودراسات حول المذهب التجريبي عند هذين العالمين الغربيين ، على حين أغفلت الإشارة والإشادة بما قدمه بعض رواد العرب والمسلمين في مجال التجربة والمعاينة والاختبار .. مما يوحي بأن هذا الإغفال لم يكن خالصا لوجه العلم ، إلا بعض وقفات عابرة منصفة لبعض المنصفين من المستشرقين .

والحق أن لعدد غير قليل من رجال الحضارة العربية الإسلامية فضلا في الحث على تحصيل المعارف عن طريق « المعاينة » و « الاختبار » و « التجربة » والبعد عن تحصيلها عن طريق النقل والقياس الأرسطي ، وسبيلهما في الغالب هو الاستظهار والحفظ .

ويأتي الجاحظ أولا في تاريخ الفكر العربي من حيث ايمانه بالمذهب التجريبي في تحصيل المعرفة مما يحيط بالأديب عادة من ملابسات الحفظ والاستظهار .

والحق أن دعوة الجاحظ إلى المعاينة والتجربة تعد أول صيحة في الفكر الإسلامي العربي تسبق دعوة « رابليه » و « بيكون » بعدة قرون . وقد كانت أجرأ دعوة في وسط عاكف على الحفظ ، يهتم بالمحفوظ ، ويعلي من قدر الحفاظ الذين كانوا يتباهون بنوادر الحفظ وغرائبه ، ويجعلونه سببا إلى الشهرة وإلى ولوج أبواب الخلفاء والأمراء وذوي الجاه والسلطان . وهل ننسى في هذا المقام رجالا من أمثال بديع الزمان الهمذاني ، والخوارزمي ، وابن العميد ، وأبي تمام ، والصاحب بن عباد وغيرهم ممن كانت تروى عن عجائب حفظهم أغرب الروايات ؟

والجاحظ — على عمقه في الأدب ومسائل الفكر — لا يؤمن بالحفظ قدر ايمانه بالتجربة والمعاينة في كسب المعرفة . وما أصدقه وهو يقول عن نفسه : (ليس يشفيني إلا المعاينة) ، فهو ينحو منحى التجريبيين في زماننا هذا ، ولا يعتمد على المحفوظ والمنقول ، ولكنه يعتمد على المشاهدة والخبرة والاستبصار . ونجد مصداق هذا في عشرات وعشرات من التجارب التي أجراها بنفسه في عالم (الحيوان) ليصل من خلالها إلى ما يود الوصول إليه من معرفة . ألم يحدثنا عن تجربة له على الجعل — أو الجعران — والخنفساء ، ليتأكد مما يقال عن خمود الحياة فيهما إذا وضعا في الورد أو دفنا فيه ، وعن عودة الحياة إليهما إذا أعيدا من جديد إلى الروث الذي يقيمان فيه ؟ ألم يجر بنفسه تجربة على الأفعى لبيان حركتها بعد موتها بالذبح ، وفرى الأوداج تارة ، والقبض على خرزة عنقها تارة أخرى ؟ ألم يبعج مرة — وهو نازل بمصر — بطن عقرب ليتحقق مما يقال من أن العقرب تحمل في بطنها عشرات من العقارب الصغار ، ويقول في ذلك بعبارته : (كنت بعجت بطن عقرب إذ كنت بمصر ، فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغارا ، كل واحدة منها نحو أرزة) .

وإذا كنا نلحظ أن التربية في الإسلام قد اتجهت يوما إلى الاستظهار والحفظ لأسباب أملت عليها ذلك ، وضنا بالنصوص أن تضيع ، فان جماعة من مفكري العرب والإسلام قد تنبهوا إلى ما في ذلك من خطر على مواهب التفكير والتدبير ، وتعطيل لنشاط العقل وحيويته ، ودعوا إلى الفهم والمعاينة والتجربة

في التحصيل . ونجد الشيخ الحكيم برهان الإسلام ينصح المتعلم في كتابه قائلا : « عليه ألا يكتب شيئاً لا يفهمه ، لأن ذلك يورث كلال الطبع ، ويذهب الفطنة . وينبغي له أن يجتهد في الفهم من الأستاذ ، ويكثر من التأمل والتفكير » .

وعلى الرغم من حرص « المسعودي » صاحب « مروج الذهب » على تنخل الأخبار التي كان يسمعها في أسفاره ورحلاته ، ودعوته إلى عرضها على محك العقل ومناقشتها ، والتحرز من قبولها كأنها قضايا مسلم بها — على الرغم من ذلك فاتته في هذا الباب بعض أمور استدرك عليه فيها المؤرخ المحقق ابن خلدون ، وعجب من جوازها عليه ، وعدم فطنته لها ، بل غفلته عنها . ولعل تلك المزالق مما يميز عالما من عالم ، وذهنا من ذهن .. والحق أن ابن خلدون قد بلغ في باب تجريح المعارف والأخبار ، أو توثيقها ، حدا يعلي من قدرة العقل في التحصيل .

وإذا كنا نجد اتجاه « التجربة والمعاينة » يتنبه إليه جماعة من مفكري العرب والإسلام الذين يشتغلون بمسائل الأدب ، وقضايا الفكر المجرد ، وموضوعات العلوم النظرية ، كالذي وجدناه عند برهان الإسلام الحكيم ، والمسعودي المؤرخ ، والجاحظ الأديب فان جماعة غير قليلة من علماء العرب والإسلام المشتغلين بالعلوم التطبيقية قد تنبهوا إلى قيمة المعاينة والتجربة في بحوثهم ، وأكدوا بها أصالتهم العلمية وبعدهم عن النقل والتقليد والترديد .

والنقل ليس عيبا إلا إذا وقف الإنسان عنده وجمد عليه . فإذا ما أضاف إليه الخبرة والتجربة والملاحظة فهو مثمر أيما اثمار . فان العرب نقلوا أكثر معارفهم عن السابقين من الأمم ذوات الحضارات ، ولكنهم أضافوا إليها نتائج اختبارهم . كالذي فعلوه في الطب ، فقد كانت لهم فيه ملاحظات تخالف آراء القدماء في تدبير الأمراض . وهي ملاحظات أنتجتها الخبرة ، وأنضجتها التجربة . وتؤكد بعض المصادر الموسوعية أن العرب هم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة . والاعتراف هنا بالتجارب هو تسجيل لفضل العرب ، على الرغم من وجازة الإشارة وسرعتها ..

ويشير المفكر المسلم المعاصر « حيدر بامات » اشارة سريعة إلى التجربة عند علماء المسلمين بقوله :

« وما تم لعلمائهم من اكتشاف يثبت مقدار ما عرفوا استخلاصه استخلاصا عجيبا من عناصر البحث التي بقيت من العالم القديم . ولكن هذه الاكتشافات تثبت على الخصوص أيضاً ماذا كان نصيب الترصد والتجربة الذي عرف علماء المسلمين أن يوردوه إلى مؤلفاتهم » (١).

وقد التقط « حيدر بامات » هذه الاشارة من عبارة للمؤرخ « سيديو » يقول فيها عن احدى مدارس العرب والإسلام الكبرى : « فكانت مبادىء أساتذتها تقوم على الانتقال من المعلوم إلى المجهول ، وعلى ملاحظة الحوادث ملاحظة وثيقة لمجاوزة المعلولات إلى العلل ، وعلى عدم التسليم بما لا يستند إلى التجربة » (٢) .

ومن حسن الحظ أن يتنبه عالمنا الطبيعي المرحوم « مصطفى نظيف » إلى « الحسن بن الهيثم » وطريقته المثلى في الأخذ بالاستقراء والقياس والتمثيل ، والاعتماد على المشاهدة والتجربة . ففي كتاب « المناظر » لابن الهيثم نراه يستعين على قوانين الضوء بإجراء للتجارب ، بالمعنى الذي نعنيه اليوم .

ولم يقلّ « جابر بن حيان » عن ابن الهيثم اهتماما بالاختبار والتجربة . فقد كان له كما جاء في «الفهرست» لابن النديم — مختبر الكوفة . ومن أقواله المأثورة : « ان علماء الطبيعة لا يفرحون بغزارة المادة ، ولكنهم يبتهجون بمهارة طرقهم في التجارب » .

وقد بقي اهتمام علماء العرب والإسلام بالمعاينة والتجربة قائما على مدى العصور ، سواء في القرون الأولى لتاريخهم أم في القرون التالية . ففي القرن السابع الهجري ظهر عالم الكيمياء « أبو القاسم العراقي » ، فكان لا يكتب شيئاً من العلم ، ولا يقيد جزءاً من المعرفة إلا بعد إجراء التجارب ، لأنه كان لا يؤمن بالنظريات السائدة قدر ايمانه بالتجربة الحاضرة .

ومن حسن الحظ أيضاً أن يتنبه « سارطون » مؤرخ العلوم وصاحب تاريخ العلم إلى هذه الحقيقة وينشرها في كتابه العظيم الذي ترجمته لجنة من علماء العرب المعاصرين على اختلاف ديارهم . وقد أفاد مؤرخنا العربي دكتور « فيليب حتي » من هذه الحقيقة ونشرها في كتابه المشهور : « تاريخ العرب » .

---

(١) مجالي الاسلام . لحيدر بامات . ص/١٢٣ .

(٢) تاريخ العرب العام ، لسيديو ، ص/٣٩٢ .

ويتمثل الاحتفال البالغ بالمعاينة والتجربة عند علماء الحضارة العربية الإسلامية في الذي كان يصنعه مؤرخنا الطبيب « عبد اللطيف البغدادي » . ففي كتابه « الافادة والاعتبار » مواطن غير قليلة تؤكد هذه الروح العلمية التي كانت تسود بحوثه . ويبدي بعض المستشرقين اعجابهم بنص في كتابه يؤكد خروجه إلى المدافن في بلدة « بوصير » بالجيزة ، وبعض تلال القاهرة المملوءة بالرمم الآدمية ليحقق بالمعاينة ما جاء في بعض كتب « جالينوس » عن التشريح ، وليصحح ما وقع فيه الطبيب الأغريقي من أخطاء (١) .

ويسوقنا الحديث عن الجثث البشرية والعظام هنا إلى ما كان يصنعه طبيبنا « يوحنا بن ماسويه » ربيب الحضارة الإسلامية في القرن الثالث الهجري ، ونابغة الطب العربي في عصر الرشيد إلى أيام المتوكل . فقد ذكروا عنه أنه لما عجز عن الحصول على جثث بشرية للتشريح – لما في ذلك من مجافاة لروح الإسلام الذي يعلي كرامة الإنسان – عمد إلى القردة التي كانت مجلوبة من بلاد النوبة بأرض مصر إلى بلاط الخليفة العباسي فشرّحها (٢) .

ومن لطائف الوفاق بين الرأي العربي والرأي الأجنبي في الوصول إلى نتائج متشابهة أن الباحث الانجليزي « هولم يارد » ، والعالم العربي الدكتور « صروف » رئيس تحرير «المقتطف» قد التقيا على القول بأن الكيميائي العربي الأندلسي : « مسلمة بن محمد المجريطي » المتوفى سنة ٣٩٥ هـ كان عالما مجربا ، وأطلق « هولم يارد » على عالمنا هذا الوصف المميز خلال بحثه .

ولم يبعد « أبو النصر الفارابي » من فلاسفة القرن الرابع الهجري وممن ضمهم ثرى دمشق سنة ٣٣٩ هـ – عن ميدان التجارب والاختبار في كتابه عن الموسيقى والأنغام . ففيه أخذ يبين طبيعة الأصوات وتوافقها ، ثم شرح تأثير تموجات الهواء في الأوتار ، معتمدا في ذلك كله على التجربة .

ومن علماء الحضارة العربية الإسلامية الذين جمعوا بين المعاينة والتجربة جمعا ملازما محمود النتائج عالمنا النباتي الأندلسي « ابن البيطار » من رجال المائة السابعة . فقد زار كثيرا من أنحاء العالم العربي ، وجاء بنفسه إلى الشام ، ودرس نباتها على الطبيعة . ومن هنا كان كتابه في مفردات الأدوية المعول عليه عند الأوربيين في ابان نهضتهم . ولا يقل معاصره « رشيد الدين ابن الصوري » عنه عناية بالمعاينة ، وحفولا بالتجربة في مجال دراسة النبات ، فكان يخرج لدرس الأعشاب والحشائش في منابتها ويستصحب معه مصورا بارعا ، مزودا بالأصباغ واللّيق المتنوعة .

وهكذا فان أربعة عشر قرنا من عمر الزمان وعمر الحضارة العربية الإسلامية تؤكد أن علماءنا سبقوا علماء أوربا في هذا الميدان . ولا يجوز أن نعاب بميلنا الشائع إلى الحفظ والاستظهار في تحصيل المعرفة ، فقد كان الغربيون غارقين إلى الأذقان في هذه اللجة ، إلى حد جعل المفكرين منهم يتنبهون إلى الخطر المحدق ، وإلى ضرورة مواجهته بالعلاج الحاسم . وللمفكر الفرنسي « الفونس اسكيروس » حملات ضارية ، وآراء جديرة بالتقدير في هذا السبيل ، أودعها كتابه المشهور : « التربية الاستقلالية » الذي عرف قيمته وضرورته للعرب في سبيل نهضتهم الحديثة الإمام الشيخ محمد عبده ، فأوصى المستشار المصري : عبد العزيز محمد بترجمته ، فكان من نفائس المكتبة العربية في أواخر القرن التاسع عشر .

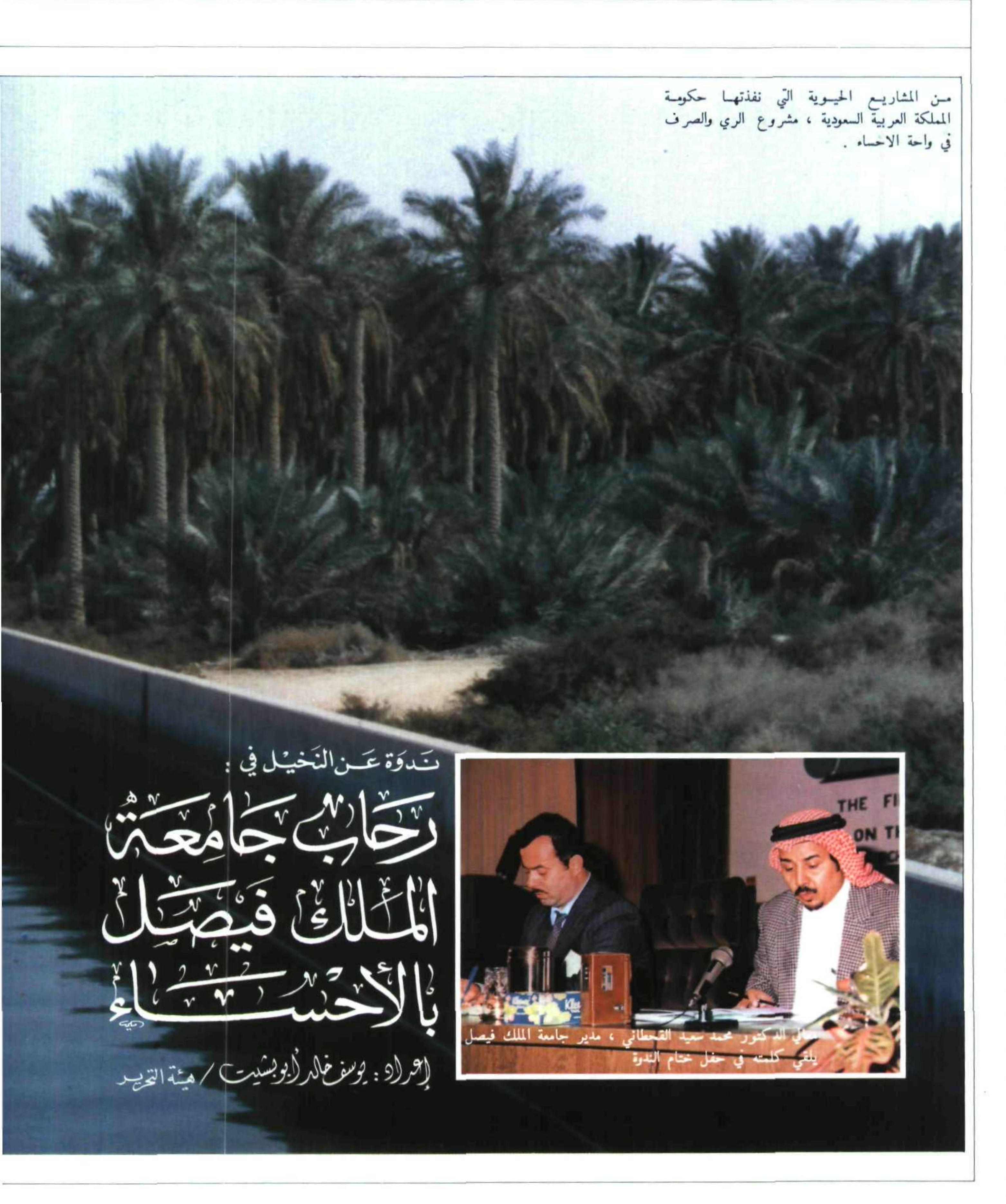
ومن الطريف أن « الفونس اسكيروس » لم يكن وحده في ميدان مقاومة الحفظ ومناهضة الاستظهار ، والدعوة إلى المعاينة والاختبار ، بل كانت تسمع إلى جانب صيحاته المدوية صيحات (آبل) ، و (ليبمان) ، و (جوستاف لوبون) .. مما يؤكد أن حالنا وحالهم في الهم كانت واحدة .

ولكن النماذج والأخبار التي أتينا بها هنا ، والتي وجدناها مبعثرة في مظان متفرقة وغير ملمومة ، تؤكد لنا – ونحن نستعيد ذكرياتنا عن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية – ان علماءنا رضي الله عنهم – أو عددا غير قليل منهم – قد اتخذوا مذهب التجربة والمعاينة ، لتحصيل المعرفة التي أسهموا بها اسهاما مشرفا في مسار الحضارة الإنسانية الطويل □

---

(١) كتاب « موفق الدين عبد اللطيف البغدادي . بقلم جماعة من الباحثين . المجلس الأعلى للفنون والآداب – القاهرة ، ص/٨٧ .

(٢) تاريخ العرب – مطول . للدكتور فيليب حتّي . ص/٤٤٤ .



من المشاريع الحيوية التي نفذتها حكومة المملكة العربية السعودية ، مشروع الري والصرف في واحة الاحساء .

ندوة عن النخيل في :

رحاب جامعة الملك فيصل بالأحساء

إعداد : يوسف خالد ابوبشيت / هيئة التحرير

معالي الدكتور محمد سعيد القحطاني ، مدير جامعة الملك فيصل يلقي كلمته في حفل ختام الندوة



لقد كرم الله سبحانه وتعالى النخلة ، وذكرها في محكم كتابه في مواضع كثيرة : **«وهزّي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلي واشربي وقرّي عينا » (١)** ، **« والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد » (٢)** ، **« فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبّا . متاعاً لكم ولأنعامكم » (٣)** ، **« فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام » (٤)** ، **« وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون » (٥)** ، وغير ذلك من الآيات الكريمات التي ذكرها الحق تبارك وتعالى في معرض الغذاء والمتاع لبني الانسان والأنعام . وقد أوصانا بها الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وحثنا على اكرامها والاهتمام بها ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم « بيت ليس فيه تمر جياع أهله » . كما ورد في حديث آخر عنه ، عليه الصلاة والسلام « أكرموا عمتكم النخلة » ، وعنه أيضاً عليه أفضل الصلاة والتسليم « ان التمر يذهب الداء ولا داء فيه » ، وقد أوحت النخلة لكثير من شعراء العربية وأدبائها بنظم أجمل القصائد فتغنوا بها ، نذكر منهم أبا نواس ، وايليا أبو ماضي ، وزهير بن أبي سلمى القائل :

وهـــل ينبت الخطّي الا وشيجـــة
وتغرس الا في منابتها النخـــــل

وانطلاقاً من هذا الاهتمام بالنخلة ، فقد وجهت جامعة الملك فيصل بالاحساء الدعوة الى عدد من العلماء والباحثين المختصين بالنخيل في عدد من الدول العربية والأجنبية للمشاركة والاسهام في ندوة النخيل الأولى المنعقدة من ٢٨ الى ٣٠ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ الموافق من ٢٣ الى ٢٥ مارس ١٩٨٢ بمحطة الأبحاث والتدريب الزراعية والبيطرية بالاحساء .

فلا غرو أن تستضاف ندوة النخيل الأولى في واحة الاحساء ، هجر ، وذلك لانها أرض النخيل والمصدر الأكبر للتمور في المملكة وذات التاريخ العريق في زراعته وتصنيعه . فالنخلة كانت مصدر الغذاء الرئيسي للآباء والأجداد الذين عرفوا أهميتها فأكرموها ورفعوا من شأنها فسخت عليهم وأعطتهم وأمدتهم باحتياجاتهم اليومية ، فمنها كان مسكنهم ومأكلهم ومأكل أنعامهم ، وفيها كانت لهم مآرب أخرى . فكان لزاماً على الأجيال الحاضرة والقادمة العناية بهذه الشجرة المباركة . وكما قال معالي وزير الزراعة والمياه الدكتور عبدالرحمن ابن عبد العزيز آل الشيخ في كلمته ابان جلسة افتتاح الندوة : « فكان حقاً علينا أن نعطي النخلة حقها من الاهتمام ، وان نوفيها ما هي جديرة به من البحوث العلمية ، لتعيش معنا ومع أجيالنا القادمة ، فتية معطاءة ولتعيش مستقبلنا كما عاشت ماضينا » . وفي كلمة معالي مدير جامعة الملك فيصل الدكتور محمد سعيد القحطاني ما يكفينا دليلا وبرهاناً على أهمية ذات الأكمام : « وما اعتبارها شعاراً لدولتنا الحبيبة ، الا تجسيداً عملياً لمكانتها ، ووفاء وعرفاناً بدورها وعطائها ، واعتزازا بوجودها وتأقلمها مع بيئتنا وحياتنا . ولذا فقد عزمت هذه الجامعة ، ممثلة في كلية العلوم الزراعية ، على عقد هذه الندوة عن النخيل ، لتركز الاهتمام وتبلور القضية على ركائز علمية آخذة في الاعتبار رصد الخبرة التي قد راكمتها الأجيال السابقة ، قبل اندثارها » .

الندوة وبحوثها

نظراً لكثرة البحوث المقدمة للندوة والتي زادت على ثمانين بحثاً قررت اللجنة العلمية اختيار أربعة مواضيع رئيسية هي : زراعة النخيل ، الحشرات والأمراض التي تصيب النخيل ، تقنية تخزين وتصنيع التمور ، وانتاج النخيل . كما كانت تتخلل تلك المواضيع الرئيسية مناقشات ومحاضرات عامة ذات علاقة بالنخيل .

وقد شارك في هذه الندوة ١١٤ عالماً وباحثاً ومتخصصاً في مجال النخيل يمثلون ١٧ دولة عربية وأجنبية : المملكة العربية السعودية ، العراق ، مصر ، السودان ، تونس ،

(١) سورة مريم ، الآيتان ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) سورة ق ، الآيتان ١٠ و ١١ .
(٣) سورة عبس ، الآيات ٢٧ — ٣٢ .
(٤) سورة الرحمن ، الآية ١١ .
(٥) سورة يس ، الآية ٣٤ .



جانب من الحوار المفتوح الذي عقدته جامعة الملك فيصل بين عدد من المسؤولين في وزارة الزراعة والمياه وبين المزارعين السعوديين ، وذلك لمناقشة الصعوبات التي يواجهها المزارعون .

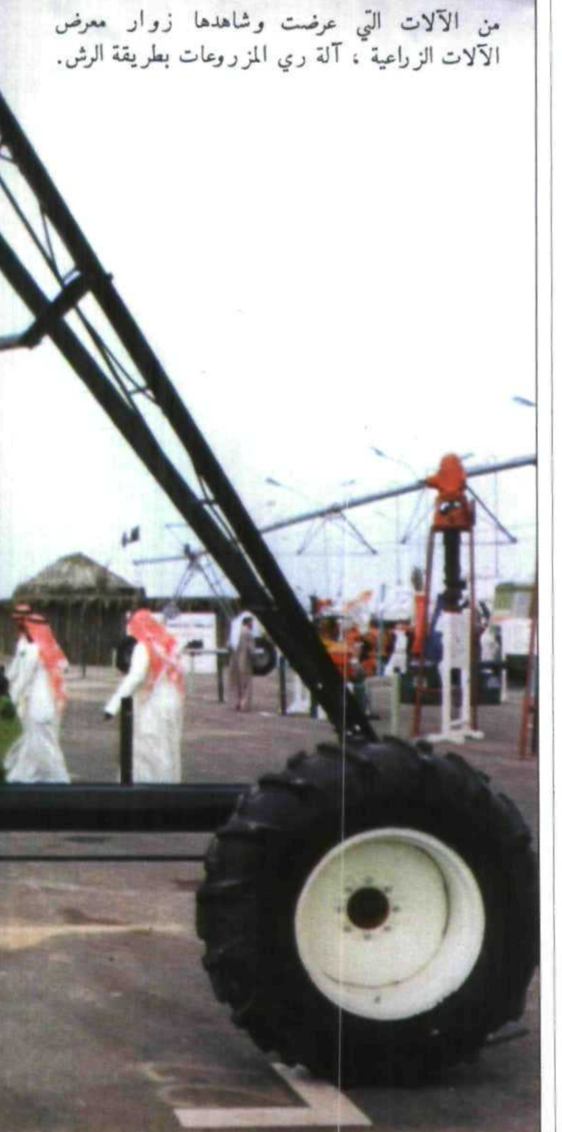
الجزائر ، اليمن ، ليبيا ، المغرب ، امريكا ، ايطاليا ، بريطانيا ، فرنسا ، باكستان ، المانيا الغربية ، نيجيريا واسكتلندا .

وكان من ضمن البحوث المطروحة ، بحث بعنوان زراعة النخيل بواحة الاحساء للسيد عبد العزيز العجيان ، من قسم الاحصاء والتسويق بهيئة ادارة وتشغيل مشروع الري والصرف بالاحساء ، فأشار الى التوزيع الجغرافي لأشجار النخيل على قرى واحة الاحساء ، واعداد أشجار النخيل والمساحة التي يشغلها ، والأهمية الاقتصادية لزراعة النخيل ، وتقدير تكاليف زراعة النخيل والعائد ، فقال : « ان اشجار النخيل تنتشر بزمام ٣٨ قرية من قرى الاحساء وتوابعها وتتفاوت أعداد هذه الأشجار من قرية الى أخرى . ويتركز ثلث عدد هذه الأشجار في ثلاث قرى بنسبة ٣٣٫٥١ ٪ . ومن واقع نتائج الحصر الزراعي الذي أشرفت عليه الهيئة اتضح ان جملة المساحة المزروعة تصل الى حوالي ٧٠٩٦ هكتاراً ، وان جملة المساحة التي تشغلها أشجار النخيل تتراوح بين ٤٩١١ هكتاراً الى ٥٨٤٤ هكتاراً . كما أن عدد أشجار النخيل تبلغ ١٦٢٣٣١٧ نخلة منها حوالي ١٢٥١٥٧٨ نخلة منتجة يزيد عمرها على خمس سنوات .

وفي موضوع اكثار النخيل تحدث أكثر من مختص في هذا المجال ، فمن السودان ألقى الدكتور عوض محمد أحمد عثمان ، من هيئة البحوث الزراعية بحثاً عن اكثار النخيل عن طريق الترقيد الهوائي فقال : « وضح من هذه التجربة أن العامل الرئيسي الذي يؤثر على نجاح الفسيلة هو المحافظة على جذورها مغطاة داخل التربة التي استعملت للترقيد » . اما الدكتور نور الدين دريرة من كلية العلوم والتقنية بصفاقس في تونس ، فقد تحدث عن التكاثر الحضري في نخيل التمر بزراعة السعف المنقول من النباتات البالغة ، فقال : « ان زراعة أنسجة السعف في وسط غذائي معين وتحت ظروف فيزيائية خاصة تمكّن من ظهور مجموعة كبيرة من الحبيبات الكروية داخل أنسجة السعف . وعندما تبلغ هذه الحبيبات حجماً معيناً تنقل الى وسط غذائي جديد مما يمكّن البعض منها من انتاج كنب — Callus لريع النمو وبعد ذلك تعاد زراعة أنسجة الكنب في وسط غذائي آخر يسمح بظهور أفرع خضرية وجذور مشابهة تماماً لنباتات النخيل الفتلية . وقد أمكن نقل هذه النباتات بنجاح الى التربة » .

ومن المواضيع التي استأثرت باهتمام عدد كبير من العلماء والباحثين المشاركين في الندوة ، موضوع مكافحة آفات النخيل ، الذي ركز فيه الدكتور عبد المنعم تلحوق من المركز الاقليمي لأبحاث الزراعة والمياه بالرياض على الآفات المنتشرة في واحات المملكة وأسباب تفشيها ، مشيراً بذلك الى المعلومات البيولوجية التي جمعها خلال دراسة ميدانية أجريت لهذا الغرض . كما تطرق في بحثه الى بعض طرق العلاج لتلك المشاكل على صعيد المزارع وعلى الصعيد العام . كما طرح على بساط البحث موضوعاً حول امكانية ابادة الحشرات التي تصيب تمور المملكة العربية السعودية باستخدام أشعة جاما ، وقد جاء في البحث أن التمور السليمة والمصابة — صنفي الصفاوي (أهم أصناف المدينة المنورة) والسكرية (أهم أصناف المنطقة الوسطى) — بحشرات خنفساء الحبوب ذات الصدر المنشاري ، دودة البلح الكبرى ، أو سوسة التمر ، دودة البلح الصغرى ،

من الآلات التي عرضت وشاهدها زوار معرض الآلات الزراعية ، آلة ري المزروعات بطريقة الرش.



قد عرضت لجرعات صفر ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٥٠ كيلوراد من أشعة جاما الصادرة من الكوبالت — ٦٠ بتركيز ١,١٥ × ١٠° سنتجريد/ساعة ، ثم خزنت الثمار تحت ظروف الغرفة العادية (٢٠ — ٣٥° سنتجريد ، ٨٥ — ٩٠٪ رطوبة نسبية) في أكياس قماش لمنع اعادة اصابتها بالحشرات . وقد وجد أن الجرعة ٢٥ كيلوراد تمنع كلية تكشف البيض ، اليرقات ، العذارى الى الطور الذي يليه الى جانب أنها قاتلة للطور الكامل للحشرة بالثمار . ولم تحدث هذه الجرعة أي تغيير معنوي بالقيمة الغذائية للثمار المعاملة بالأشعة مقاسة بالتقدير الكمي والنوعي للكربوهيدرات والبروتين والأحماض



شاركت بعض المؤسسات والشركات السعودية المتخصصة والمتعلقة أعمالها بالزراعة ، ببعض الآلات الزراعية الحديثة .



الأمينية عقب التعريض للأشعة مباشرة وذلك على فترات ٣ و ٦ و ٩ و ١٢ شهراً من تخزين الثمار المعاملة تحت الظروف السابقة .

ومن البحوث الأخرى التي نوقشت خلال الندوة تتعلق بالاستفادة القصوى من تصنيع التمور ومشتقاته حتى يمكن أن يدخل في كثير من المأكولات والمشروبـات المستساغة ففي العراق ، قدم ثلاثة مختصين بحثاً عن انتاج « الكراميل » من عصير التمر ، وقدم ثلاثة آخرون بحثاً آخر عن امكانية ادخال التمور في صناعة المخللات ، وفي بحث آخر أيضاً ، عرض احد العلماء امكانية استعمال الدبس كبديل لسكر المائدة في تصنيع الخبز ، سيما وأن الدبس من أول المواد الحلوة الطعم التي عرفها الانسان حيث ذكرت في آثـار العصر البابلي والأشوري .

وبما أن الوطن العربي يمتاز بمناخ ملائم وتربة زراعية لتكاثر أشجار النخيل وانتاج التمور ومشتقاتـه ، بحث بعض المشاركين الأمور الاقتصادية والتي من شأنها أن تسهم اسهاماً كبيراً في تقدم زراعة النخيل ، وذلك بعد تحديد المشاكل التي تحول دون تحقيق الكفاءة الانتاجية القصوى بأقل قدر من التكلفة . وقد تركزت هذه الاقتراحـات الاقتصادية على :

• الأخذ بمكننة انتاج التمور ، وذلك نظراً لارتفاع كلفة الانتاج ، وقلة الأيدي العاملة الماهرة لجني المحصول ، ولاجراء بعض الأعمال البستنية كالتلقيح والتقليم .

• الاهتمام بانتاج التمور ليساعد في سد جزء من الحاجة الغذائية والعجز في الميزان التجاري لبعض الدول العربية ، والعمل على تنويع الانتاج الغذائي .

• التعرف الى العوامل المؤثرة على استهلاك التمور بغية الوصول الى الخواص الوصفية والكمية للتمور المفضلة لدى المستهلكين لتقرير سبل تطوير وزيادة الانتاج من ناحية ، وتحسين الأساليب والخدمات التسويقيه التي تجرى على التمور .

• استخدام طرق المعاينة والقياس الفعلي لتقدير محصول التمور في المملكة العربية السعودية ، اذ يعتبر هذا الأمر حيوياً لرسم سياسة زراعية سليمة لانتاج التمور .

وقـد وجهت جامعـة الملك فيصل بالاحساء الدعوة الى عدد من المزارعين السعوديين من مختلف مناطق المملكة لحضور هذه الندوة ، وذلك ايماناً منها بأهمية اعطاء الفرصة لهؤلاء المزارعين للقاء العلماء والمختصين بالنخيل ، بغية ايجاد نوع من التفاعل البناء بين المزارع والعالم والمختص . كما رتبت الجامعة أيضاً ، حواراً مفتوحاً بين عدد من المسؤولين في وزارة الزراعة والمياه وبين المزارعين السعوديين ، دارت خلاله مناقشة الصعوبات التي يواجهها المزارعون في سبيل تطوير النخل .

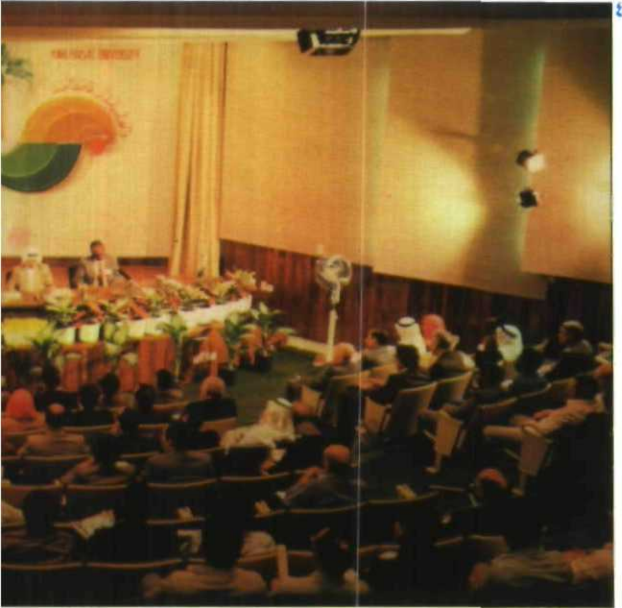
١



٣



٤



٢



٥



وفي ختام أعمال الندوة ، توصل المؤتمرون الى اتخاذ عدد من التوصيات من بينها :

• تركيز الاهتمام على الجوانب البحثية والتطبيقية في مجال طرق زراعة الأنسجة لاكثار النخيل مع التركيز على الأصناف ذات الانتاجية والجودة العالية والمقاومة للآفات كمرض البيوض بوجه خاص .

• حصر وتقويم الأصناف الجيدة واجراء الدراسات الاقتصادية والتسويقية اللازمة في كل منطقة والاستفادة من الفسائل الناتجة للتوسع في الزراعات الجديدة مع مراعاة اتباع الطرق الحديثة .

• انتخاب وتسمية وتسجيل الذكور الجيدة والعمل على انشاء مراكز الاختبار وتقييم وتخزين وتوزيع حبوب لقاح السلالات المبكرة .

• عند التقليم يجب مراعاة الابقاء على نسبة مثالية من السعف الى العذق حسب الصنف والموقع لضمان الحصول على انتاج عال من المحصول ونوعية جيدة من الثمار .

• يجب اتباع التوصيات المرتكزة على البحث العلمي في حساب الاحتياجات المالية والسمادية للنخيل مع الأخذ في الاعتبار للزراعات المختلطة وخاصة في فترات النمو الحرجة .

• التعرف الى النظم الميكانيكية الملائمة واختبارها للقيام بعمليات جمع الثمار والتلقيح والتقليم لمقاومة آفات النخيل .

• ايقاف استخدام المبيدات الهيدروكلورونية في مقاومة آفات النخيل واستبدالها بالمبيدات الحشرية قليلة الأثر المتبقي ، لتجنب تلوث البيئة والحفاظ على صحة الانسان .

• العمل على تطوير الصناعات القائمة على التمور ومشتقاتها واستخدام مخلفات النخيل والتمور في تصنيع علف الحيوان ومواد البناء وغيرها واجراء دراسات الجدوى الاقتصادية لتلك المشاريع .

• عمل دراسات لحصر واستبيان الاعداء الحيوية كالمفترسات والطفيليات والتي قد تقلل من أعداد الحشرات الضارة بالنخيل بهدف تطوير المكافحة المتكاملة .

• انشاء مركز معلومات خاص بالنخيل يكون مقره جامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية .

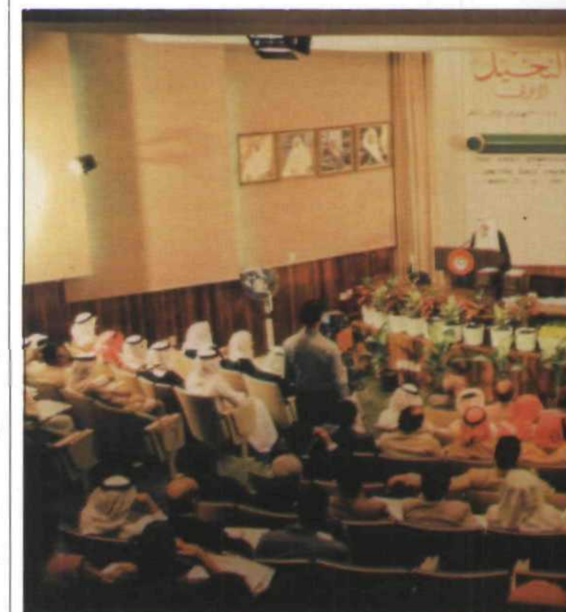
• انشاء مراكز أبحاث وارشاد وتدريب للنخيل والتمور في الدول المنتجة للتمور .

معارض الندوة

وقد أقامت جامعة الملك فيصل في مقر اقامة الندوة في محطة الأبحاث الزراعية والبيطرية في الاحساء ، أثناء انعقاد الندوة وبعدها ، عدداً من المعارض المتعلقة بالنخيل ، وذلك بهدف اطلاع العلماء والفنيين المشاركين فيها على الآراء والأفكار والمعدات والآليات الزراعية والتكنولوجيا المتقدمة في مجال زراعة النخيل والعناية به وتصنيع منتجاته من التمور . وعلى أثر ذلك تم الاتصال بالوزارات والهيئات الحكومية وبعض المؤسسات والشركات ذات العلاقة بشأن الاشتراك في هذه المعارض وتقديم ما لديها من الكتب والنشرات والآلات والأجهزة الزراعية .

ففي ساحة محطة الأبحاث الزراعية والبيطرية بالاحساء أقيم معرض لمختلف الآلات والأدوات والمبيدات وبعض الأدوية البيطرية ، اشترك فيه عدد من المؤسسات الوطنية المتخصصة في بيع واستيراد اللوازم الزراعية .

وفي مقر محطـة الأبحـاث أعـدت ثلاثة معارض ، أولاها معرض الكتاب الذي ضم مجموعة كبيرة من الكتب المتعلقة بالنخيل خاصة ، وبالزراعة عامة باللغتين العربية والانجليزية ، شاركت فيه عدد من دور النشر المحلية والعربية والأجنبية وبعض المؤسسات والهيئات السعودية . أما المعرض الثاني فكان خاصا بكلية العلوم الزراعية والأغذية حيث عرضت نماذج وعينات ورسومات من أعمالها . واختص المعرض الثالث بالزراعة التقليدية وتميز بالصناعات اليدوية المعتمدة على منتجات النخيل.





١ – جانب آخر من معرض الآلات الزراعية .

٢ – جانب من معرض الآلات الزراعية ، الذي نظمته جامعة الملك فيصل ابان انعقاد الندوة .

٣ – بعض الزوار يتفحصون بعض المعروضات اليدوية التي ضمها معرض الزراعة التقليدية .

٤ – صورة جامعة للمشاركين والمدعوين وعدد من المسؤولين لدى جامعة الملك فيصل أثناء حفل الختام .

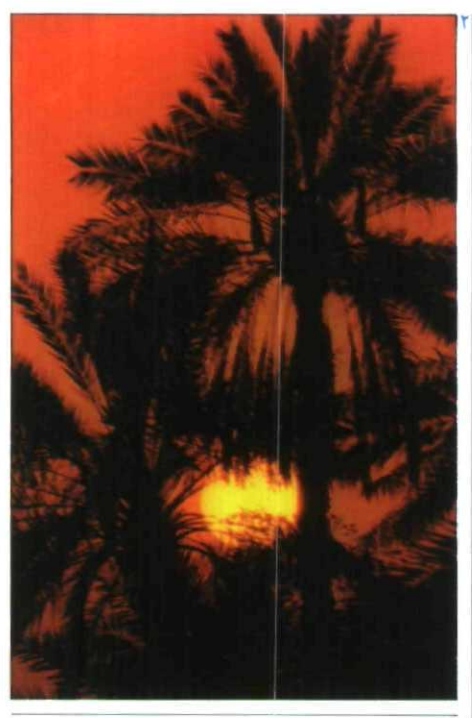
٥ – عينات لبعض منتجات الاحساء الزراعية .

٦ – جانب من معرض الزراعة التقليدية الذي يضم مجموعة من الادوات المصنوعة من سعف النخيل .

١



٢



١ – تنتشر زراعة النخيل في منطقة الاحساء ، المصدر الأكبر للتمور في المملكة العربية السعودية .

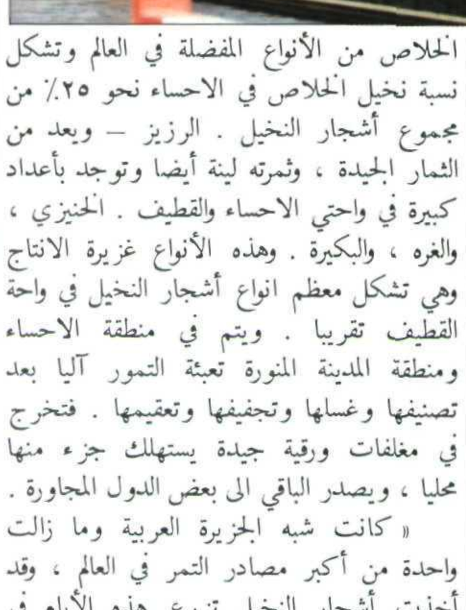
٢ – نخلتان تعانقان السماء وقت الغروب في واحة الاحساء المعطاء .

النخيل والتمور في المملكة العربية السعودية

تحتل المملكة العربية السعودية مكانة متقدمة بين الدول العربية في زراعة وانتاج التمور ، اذ يتجاوز عدد أشجار النخيل في المملكة التسعة ملايين نخلة ، يصل انتاجها السنوي الى ٣٠٠ الف طن من التمور ، ويستهلك منها كمية كبيرة محليا خاصة الأصناف الجيدة منها . ويصدر القسم الآخر الى الدول المجاورة .

« وتتركز زراعة النخيل في المملكة في المناطق : الشرقية (واحتي الاحساء والقطيف) ، الوسطى ، القصيم ، الغربية ، الشمالية ، والجنوبية . الا أن أهمها من ناحية اعداد النخيل المزروعة هي المنطقة الشرقية حيث تحتضن حوالي ٣٠٪ من أعداد النخيل بالمملكة » (٦)

وبالرغم من تعدد أصناف التمور التي تنتجها المملكة العربية السعودية وجميعها صالحة للأكل ، الا أن هناك خمسة أصناف ذات قيمة تجارية تشتهر بها المنطقة الشرقية هي : الخلاص – وثمرته لينة متوسطة الحجم صفراء اللون في مرحلتي البسر ، والرطب ذهبية ضاربة الى الاصفرار في مرحلة التمر ، وتلقى رواجا كبيراً في مرحلتي الرطب والتمر . ويعتبر تمر الخلاص من الأنواع المفضلة في العالم وتشكل نسبة نخيل الخلاص في الاحساء نحو ٢٥٪ من مجموع أشجار النخيل . الرزيز – ويعد من الثمار الجيدة ، وثمرته لينة أيضا وتوجد بأعداد كبيرة في واحتي الاحساء والقطيف . الخنيزي ، والغره ، والبكيرة . وهذه الأنواع غزيرة الانتاج وهي تشكل معظم انواع أشجار النخيل في واحة القطيف تقريبا . ويتم في منطقة الاحساء ومنطقة المدينة المنورة تعبئة التمور آليا بعد تصنيفها وغسلها وتجفيفها وتعقيمها . فتخرج في مغلفات ورقية جيدة يستهلك جزء منها محليا ، ويصدر الباقي الى بعض الدول المجاورة .



« كانت شبه الجزيرة العربية وما زالت واحدة من أكبر مصادر التمر في العالم ، وقد أخذت أشجار النخيل تزرع هذه الأيام في أقطار مختلفة في أرجاء العالم ، وذلك في المناطق التي تنحسر فيها المياه مدة تزيد على ١٥٠ يوما ، ذلك أن سقوط الأمطار يتلف ثمار النخيل ، وحيث تتوفر كميات معقولة من المياه لاستخدامها في عمليات الري . والتمر غذاء صحي سهل الهضم ، ومكوناته هي : ٧٤,٦ في المائة من وزنها سكرا ، و ١٥,٤ في المائة ماء ، و ٢,١ في المائة مواد زلالية ، و ٢,٨ في المائة مواد دهنية ، و ٣,٨ في المائة سليولوز ، و ١,٣ في المائة بقايا » (٧)

ومن الناحية الغذائية فقد برهنت الدراسات والاختبارات المعملية على أن التمر وجبة غذائية ممتازة تحتوي على فيتامين (أ) وفيتامين (ب – ١) و (ب – ٢) . كما أن المواد السكرية الموجودة في التمر تختلف عن المواد السكرية الموجودة في المواد النشوية الأخرى ، وذلك لأن سكر التمور يهضم في المعدة مباشرة دون الحاجة الى عصارات تحوله الى مادة سهلة الهضم ، بعكس المواد النشوية الأخرى .

وبعد ، فانه حري بنا ان نكرّم النخلة ونهتم بها الاهتمام اللائق لتستمر في عطائها ونمائها ، فهي كما وصفها أمير الشعراء أحمد شوقي :

طعام الفقير وحلوى الغني
وزاد المسافـــر والمغترب □

تصوير : علي عبدالله المبارك

(٦) « زراعة النخيل وانتاج التمور في العالمين العربي والاسلامي » للدكاترة : فتحي حسين ، ومحمد سعيد القحطاني ، ويوسف أمين والي .

(٧) راجع مقال « زراعة النخيل في المنطقة الشرقية » المنشور في عدد قافلة الزيت الأسبوعية الصادر في ٧ شعبان ١٣٩٣ هـ .

أبو العلاء المعري ناقد المجتمع

بقلم : الأستاذ أحمد الجندي / دمشق

ما من شك في أن النقد طبيعة من طبائع الانسان ، وأن هذه الطبيعة تزيد أو تنقص بحسب الفطرة والخلقة ، فمن الناس من لا يهتم بأمر من الأمور وانما يعيش عيشاً حيادياً بالنسبة لما يراه في هذا الكون المتضارب الألوان المتخالف الأشكال ، وهناك نوع من البشر يحمل على نفسه عبء اصلاح البشر فهو موكل بعيوب الناس وأخطائهم يحصيها عليهم ويبحث عنها وينقب فيها ولعله يحزن اذا هو لم يظفر بعيب يصفه أو خطأ ينوه به ، اما احصاء العيوب وتعدادها ووصفها فهو ما يمكن أن نسميه بالنقد . وكلمة (نقد) مأخوذة من نقد الدراهم ولذلك دعي الصيرفي بالناقد لأنه يفرق بين الدراهم والدنانير فيختار جيدها ويترك فاسدها . كما أن التشهير بالنقائص والعيوب يدخل في باب الهجاء ، والفرق بين النقد والهجاء يتلخص في أن النقد يقصد به الى تفريق الغث من السمين على حين أن الهجاء يقصد فيه الى تتبع العيب أو اختراعه احياناً أو ايجاده ولو لم يكن موجوداً ، كل ذلك لغاية التجريح والتشهير — والثلب والانتقام .

والنقد بغير شك دليل الحس المرهف والاعصاب المتوفزة والنفس الرقيقة الشاعرة ، هذه النفس التي يمر بها الخطأ فلا تستطيع السكوت عليه وتشاهد العيب فلا يمكنها الاغضاء عنه لأن العيب يجرحها ولأن النقص يؤذيها وقديماً قال المتنبي استاذ ابي العلاء .

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي
انا الثريا وذان الشيب والهرم

ولعل من أشهر الهجائين في الأدب العربي الحطيئة وجرير والفرزدق والأخطل وبشار وابن الرومي ، وكان أولئك جميعاً يمتازون بالحساسية الشديدة والأعصاب المرهفة والنفس الرقيقة التي تؤثر فيها النسمة ، ولكن هجاء هؤلاء الأدباء الشعراء كان هجاء « فنياً » ان صح هذا التعبير ، بمعنى انهم كانوا يصورون الأخطاء ويرسمونها أو يخترعون — لها أوصافاً يستخدمونها لأجل غاياتهم ويستعملون فيها ما حباهم الخالق به من تداع في الأفكار وتوارد في الخواطر ولكنا نلاحظ في مثل هذا الهجاء الفني فقدان العنصر العقلي وغياب التفكير المنطقي لأن هذا الهجاء لا يقصد به الى تحقيق الحقائق او تقرير الأمور وانما يقصد منه الوصف فالشتم فالتجريح والتشهير ، والذي يبدع في هذه الأبواب هو الذي يغلب ويكون المقدم بين الشعراء . الا تذكر جريرا يوم قدم اباه الخطفى الى احد اصحابه وكان والده هذا قد أصبح شيخاً هرماً لا يستطيع مشياً ولا أكلا وانما هو يرضع من ضرع معزاة فقال جرير لصاحبه . هذا ابي الذي هاجيت وفاخرت به اربعين شاعراً فقهرتهم جميعاً به .

ان طبيعة جرير الفنية الشاعرة قد كونت اباه تكويناً جديداً غيرت من معالمه وبدلت من وصفه فصار أعظم انسان في الكون ، ولا نستغرب هذا فقد قيل قديماً — أعذب الشعر أكذبه .

ولو انتقلنا من هذا الهجاء الفني المحض الى هجاء المتنبي لكافور مثلاً أو ابن كغلغ أو ضبة ، لو انتقلنا الى هذه الألوان التي عني بها المتنبي وصور فيها حنقه على الحياة وغيظه من الأيام ، وهو غيظ — كالنار في الحشاء ، كما وصفه هو لرأينا في هذا الهجو عنصراً جديداً يضاف — الى عناصر النقد اذا ما قورن بالنقد الذي رأيناه عند الحطيئة والأخطل وجرير وبشار وابن الرومي . لقد دخل عنصر العقل والفكر في هذا النقد الجديد ، وصار لدينا رأي في المنقود ورأي في الأوضاع يقول المتنبي في هجاء كافور مثلاً :

لا تشتري العبد الا والعصا معه
ان العبيد لأنجاس مناكيد

انه يقرر هنا حقيقة واقعة مبنية على المحاكمة العقلية ويعطيك دستوراً يلخص لك أن العبد لا يمكن أن ترفع عنه العصا لأنه معود الا يعيش الا تحت ظل القوة ، هكذا كان العبيد هاتيك الأيام بنظر المتنبي ثم يقول في مكان آخر حيث يهجو ضبة :

ان اوحشتك المعالي
فانها دار غربة
أو آنستك المخازي
فانها لك نسبة

فالمحاكمة العقلية هنا ظاهرة والمنطق بين واضح والنقد هنا يقرر حقيقة يعتقدها الشاعر ولا مجال لتغييرها في ذهنه .

ننتقل من هذه المقدمة الى شاعرنا وحكيمنا ابي العلاء ، هذا الشيخ الجليل الذي ينظر الينا من وراء الأبدية وقد تنبهت نظرته والتفتت ليرى رجلا معجبا به يأتيه من أقصى البلاد وبعد ألف عام من غيابه ليتحدث عنه وكأنه يتحدث عن رجل تركه بالأمس أو موضوع يتدارسه منذ ساعات . نعم ان ابا العلاء ناقد من أكبر النقاد الذين عرفتهم الحياة الأدبية في كل العصور . هذا النقد العلائي هو ما نتحدث عنه هنا واني لمغتبط اشد الاغتباط ، مسرور أعظم السرور لأني عرفت المدينة التي درج فيها شيخ المعرة وعاش في ظلالها شاعر العقل والحكمة احمد بن عبدالله القضاعي التنوخي ولو انه كره هذا الاسم حين قال :

دعيت ابا العلاء وذاك مين
وقد كان الصحيح أبا النزول

واذا اردنا البحث في شأن أبي العلاء من ناحية نقده للمجتمع فلا بد لنا أن نمر مروراً سريعاً خاطفاً بهذا المجتمع فنصفه لكم صورة تقريبية من خلال دراسة التاريخ لنرى ما تضمنه هذا العصر وما الذي أثار ابا العلاء فيه فحرك ملكته الناقدة وهاج بصيرته النافذة حتّى أحصى عيوبه وعدد نقائصة . ولد أبو العلاء المعري في يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ومات يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع واربعين واربعمائة ، فعمره يمتد من منتصف القرن الرابع تقريباً الى منتصف القرن الخامس تقريباً . ومما لا شك فيه أن هذه الفترة كانت من أعقد الفترات التي يمكن أن تمر بشاعر حساس كأبي العلاء يسمع الأمور ولا يراها أو هو يراها بعين اذنه كما يقال والأذن تعشق قبل العين احياناً على رأي بشار . ومن كان كأبي العلاء كفيف البصر فانما تأتيه الأخبار مختلفة من حيث الحقيقة والواقع فربما كانت مصغرة أو ربما كانت مكبرة وهو يتأثر بهذا أو ذاك دون ان يكون له يد في تصحيحها .

والذي لا يختلف فيه أن أبا العلاء قد ولد بعد وفاة المتنبي بتسع سنين لأن المتنبي قتل عام ألف وثلاثمائة واربع وخمسين وقد وصف المتنبي هذا العهد الذي ولد فيه ابو العلاء فقال فيه : للميلاد وانما النـــاس بالملوك ومـــا يفلح عرب ملوكهم عجم فقد تبدلت الأسماء العربية بأسماء أرمنية أو تركية أو فارسية أو ديلمية أو هندية ، وستمر بكم هذه الأسماء بعد قليل ، وهؤلاء الملوك هم الذين اتم وصفهم شاعرنا العربي فقال :

أرانـــب غـــير أنهـــم ملـــوك
مفتحـــة عيونهـــــم نيـــــام

كما وصف المجتمع ذاته يومئذ فقال :

حولـــي بكل مكـــان منهـــم خلق
تخطي اذا جئت في استفهامها بمـــن

ولا يخفى ان الاستفهام بـ (من) خاص بالعاقل كالانسان فالمتنبي يرى أن هؤلاء المهجوين لا يستحقون ان يخاطبوا مخاطبة العاقل لخبالهم وبعدهم عن العقل ومن حقهم أن يستفهم عنهم بـ (ما) التي يستفهم بها عن الأشياء وغير العقلاء كالحيوان وغيره .

واليك هذه القائمة من الأمراء والملوك الذين مروا على المعرة ومنطقتها خلال حياة ابي العلاء . لقد مات سيف الدولة عام ٣٥٦ وتولى مكانه ابنه سعد الدولة ابو المعالي فتكون السلسلة كما يلي :

سعد الدولة — قرعونة غلامه الذي تغلب عليه — بكجور غلام قرعونه — ابو الفضائل سعيد بن سعد الدولة — لؤلؤ بن عبدالله مولى سيف الدولة — ابنه منصور ابو نصر مرتضى الدولة — غلامه فتح مبارك الدولة — وسعدها وعزها — مختار الدولة والي طرابلس — مرهف الدولة والي طرابلس — عزيز الدولة فاتك ابو شجاع مولى منجوتكين — ابن شعبان الكتامي — صالح بن مرداس — ابنه ابو كامل نصر شبل الدولة — انو شتكين الدزبري — ابو علوان ثمال بن صالح معز الدولة — وهذا الأخير تولى الحكم سنة ٤٣٤ وبقي فيها الى سنة ٤٤٩ اي بعد وفاة ابي العلاء بنحو ثمانية أشهر .

لقد كانت الحياة السياسية أثناء حياة ابي العلاء مضطربة أشد الاضطراب وكانت الأخبار ترد على شيخ المعرة آخذاً بعضها برقاب بعض منها ما بولغ به ومنها ما جاء أقل من حقيقته فكان شيخنا الحساس الشاعر يتلقى الأخبار وكأنها ضربات قوية تصيبه وكان يسمع بين الحين والآخر ان هذه الخلافات التي كانت تقوم بين دولة آل حمدان والفاطميين والمرداسيين تشجع الروم على التطاول والطمع الى حيازة هذه الأراضي واحتلالها ، وربما وصلت طلائع أولئك الغزاة من الروم الى حلب وما حواليها فاحرقوا ما وصلوا اليه وعاثوا فساداً في تلك الديار مما كان يسمع به ابو العلاء ولا يستطيع السكوت عليه .

كان يحدق بأبي العلاء في مجلسه عوامل كثيرة حركت فيه عامل النقد وشحذته ووجهته الى الوسط الذي عاش فيه ولكن ابا العلاء كان شديد الرحمة للناس فكان يحبهم ولا يكرههم ، على انه كان اذا اتته اخبارهم الشائهة حنق عليهم وعلى بساطتهم وتفككهم وإذعانهم للملوك ليسوا أكفاء ولا هم جديرون بالحكم . من هذه العوامل التي ضغطت على ابي العلاء ظلم الحكام في عصره فهؤلاء يحيون في خطر داهم بعضهم من بعض فهم غير مطمئنين ولا مستقرين وهذه البلبلة في حياتهم كانت تدفع بهم الى الاكثار من الجنود والاستكثار من السلاح والعتاد ليدافعوا عن أنفسهم ضد الغارات التي كانت تتهددهم بين وقت وآخر . وكان الملك شيئاً تافهاً يأتي بسهولة ويذهب بسهولة كما حدث لسعد الدولة في خلافه مع غلامية قرعونة وبكجور وقد انفق حياته في الخلاف معهما حتى تغلب عليهما في نهاية المطاف . وكان ابو العلاء يلتفت بذكائه الحاد الى من يعيد للناس الطمأنينة والهدوء فلا يجد ، نظر الى الناس فرآهم لاهين بالجمود والكسل لا يتأثرون بشيء مما حولهم ، والتفت الى رجال الدين فوجدهم قد انصرفوا الى الخلافات الدينية التافهة التي لا تولد الا الأحن والعداوات ، والتفت الى فريق منهم وهم الصوفية فوجدهم قد اتخذوا لنفسهم سبيلا لا يقره ابو العلاء ولا يرضى عنه لأنه سبيل يقود الى الكسل والعزلة وترك العمل وفي ذلك مخالفة لرأي الدين ولرأيه هو .

ونحن نذكر غزو صالح بن مرداس للمعرة قرية ابي العلاء وما كلفه ذلك من عنت وتعب حين كلفه أهلها الخروج الى هذا الغازي لعله يحدثه.فيقنعه بما يريد ونحن أيضاً نذكر قوله وما فيه من مرارة وامتعاض حين تعرض لذكر لقائه مع هذا المرداس بقوله :

بعثت شفيعـــا الى صالـــــح
وذاك مــــن القـــــوم رأى فسد

فيسمع مني سجع الحمام
واسمع منه زئير الأسد

لقد تعرض ابو العلاء الى كل ما تواضع عليه الناس فثارت ثائرة الناس عليه وعاداه الكثيرون . لقد هاجم النصارى والمسلمين والبوذيين والصوفيه والباطنية والأمراء والفقهاء وأصحاب النسك ولم يترك التجار والصناع وتعرض لأهل الحواضر ولسكان البادية ومن هذا نرى أن الرجل لم يترك احداً يسلم من نقده لأن مادة النقد موجودة في عصره بسبب هذه الاضطرابات التي كانت شائعة والاختلافات التي عمت البلاد .

كان ابو العلاء نادرة في الذكاء والحفظ وهذا الذكاء سبب له أن يتفوق على أبناء جيله وأقرانه ولهذا التفوق ضريبة دفعها ابو العلاء وكلفته من أمره رهقاً . كان يرى نفسه أعلى مستوى من اخوانه في الحياة . والشعور في النبوغ يبعث بصاحبه حس النصح والارشاد وحب القيادة والأمر والنفوذ وان النابغ هو الذي ينبغي أن يقود الناس ويوجههم فالشجرة الباسقة هي التي تظهر ، والطفل المتفوق هو الذي يسيطر على المدرسة وهكذا في كل شيء ، لقد سبب ذكاء أبي العلاء ألما لأبي العلاء حتى لقد كان يشعر بالغربة بين أقرانه حتى كرهه هؤلاء الأقران لكثرة نصائحه ولومه ولحبه تصحيح أخطاء أبناء زمانه .

يضاف الى هذا الذكاء النادر عند ابي العلاء حس مرهف لا يقاوم فسرعان ما تؤثر فيه الفكرة فيثور احساسه ولا يستطيع له كتماً فيخرج على لسانه شعراً ونثراً يسعى اليه الناس لما يحمل من النقد والنصح والارشاد ولو كان الأمر يتعلق بانسان غير ابي العلاء لسكت وآثر السلامة وهو الضعيف الذي لا حول له ولا قوة ولكنه لا يستطيع السكوت ولو سعى الى ذلك سعياً .

لقد اتجه ابو العلاء في ثقافته الأولى اتجاهاً دينياً وحين زار اللاذقية وطرابلس واطلع على ما في مكتباتها من فلسفة منقولة وثقافة مترجمة اعجبه هذا النمط العلمي الفلسفي وصادف من نفسه منزلا رحباً وكانت طريقته في الدراسة هي الطريقة التي تأخذ وتعطي في آن ، انه يدرس على نفسه وكتبه ومن يقرأ له ويدرس ما يقرأ ويفهم فيلقنه الناس حتى اذا نوقش فيما يرد بهذه الدراسة اخذ بالنقد والتصحيح وابداء الآراء التي كانت في كثير من الأحيان مخالفة للمصطلح العام والقياس المتفق عليه .

ويخطيء الناس خطأ كبيراً حين يصورون أبا العلاء شيخاً بارداً متزمتاً يكره النكتة ويعيا بالمزاح واني لأراه على عكس ما رآه الناس ، أراه خفيف الظل يبتسم بين حين وآخر ويمازح اخوانه ومريديه وتلامذته مزاحاً فيه الكثير من سرعة الخاطر وحضور البديهة ، ورجل أوتي مثل ما أوتي ابو العلاء من ملكات ومؤهلات لا يمكن أن يكون ثقيل الظل سمج الطبع ، والنكتة تنتج عن السخر والسخر ملكة معروفة عند أبي العلاء ويكفي للتدليل عليها أن تقرأ رسالة الغفران فان فيها الواناً من السخرية الضاحكة تريح الأعصاب وتوحي بالراحة والهدوء وحسبك مثلا على هذه الروح الساخرة أن تقرأ رسالة الغفران وخاصة الفصل الذي يصور فيه ابو العلاء حال ابن القارح في الجنة ، وكيف يقوم من قبره يوم النشور فيقف طويلا حتى يعييه الحر وهو واثق من دخول الجنة لأنه يحمل بيده صك التوبة ، فاذا طال امد وقوفه فكر في خدع سدنة الجنة بمدحهم ومدح زعيمهم رضوان فاذا انشده القصيدة لم يفهم رضوان كلامه لأنه لا يعرف العربية . ويجري ابو العلاء على هذه الطريقة التي وضح سخرها وبان الضحك فيها وهو سخر يتناول الموضوع بالضحك الظاهر والابتسام الجارح .

فالناحية الدينية ، على خطر شأنها ، كانت موضع نقد بليغ من ابي العلاء ولكنه لم يلجأ في نقده هذا الى المناقشة الصريحة والبحث المكشوف وانما لجأ الى لون من الابتسام الخفي الظاهر في آن ولعله أراد بعض التقية حين جابه الناس بنقده خوفاً من قيامهم وثورتهم عليه .

ولا يظن ظان أن أبا العلاء كان يستعلي على الناس حين ينقدهم أو يحاول ارشادهم ، ان الاستعلاء والادعاء لم يخطرا على باله لأن التواضع كان علامة من علامات عبقرية هذا الرجل الكبير ، وقد يؤول الناس بأبيات أبي العلاء التي افتخر بها فيظنون انه متكبر مدع على حين أن الأمر معكوس تماماً وذلك في قوله :

اعندي وقد مارست كل خفية
يصدق واش او يخيب سائل
تعد ذنوبي عند قوم كثيرة
ولا ذنب لي الا العلا والفضائل
واني وان كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

فهذه قصيدة قالها أبو العلاء في زمن شبابه وكان الجو الأدبي ما يزال متأثراً بأبي الطيب المتنبي وكان جل الشعراء يحاولون تقليد الشاعر القتيل الذي ملأ الدنيا وشغل الناس وكذلك فعل ابو العلاء وكان تقليداً بارعاً وصوراً واخيلة لا تقل في وزنها الفني عما جاء على لسان ابي الطيب وان كانت قصيدة الشيخ مستفادة من ذلك النبع الهادر ، وهو دليل على تقارب العبقريتين وان ابتعدنا في بعض الاتجاهات . ولكن شعر المعري في هذه القصيدة كما قلنا تقليدي كشعر كل شاعر يبدأ بالنظم وانشاء القصيد اذ لا بد للشاعر من أن يمر بمرحلة المحاكاة حتى اذا نضج واكتمل أخذ ينظم على طريقته الخاصة التي هدته اليها فطرته واجرته عليها طبيعته . لذلك كان شعر الشباب عند ابي العلاء غير صادر عن عقيدة وايمان فيما يقول وفخره الذي جاء فيه لا يدل على حقيقة راهنة لا يتزحزح عنها صاحبها . ولا يمكن لفخر أبي العلاء ان يقرن الى فخر المتنبي الا من ناحية اللفظ وطريقة التعبير والأداء . ولا ننسى ان ابا العلاء كان من أشد الناس اعجاباً بأبي الطيب وقد صنع فيه كتاباً وهو « معجز أحمد » ولكن الاعجاب شيء والفطرة شيء آخر ، ان فطرة ابي العلاء وعبقريته كانتا من نوع آخر غير الفطرة والعبقرية اللتين تحلى بهما أبو الطيب . لقد غلبت

الفروسية والمفاخرة والانانيـــة والجشع وحب السيطرة والملك كل الصفات الأخرى عند المتنبي ، وغلب العلم والتأمل الهادىء والتفكير الرزين كل شيء عند ابي العلاء ، فاذا بدر من أبي العلاء ما يضعه الى جوار المتنبي فانما يكون ذلك عن طريق المحاكاة أو الخطأ أو المصادفة .

والحافاً في نفي الادعاء والمفاخرة عند أبي العلاء يحسن أن نقرأ الأبيات الآتية وهي تصور لك تواضع الرجل ومعرفته بذاته كما تصور رأيه في نفسه واشفاقه من الدعوى والافتخار ، قال :

يــزورني القــــوم هــذا أرضه يمــن
مــــن البـــلاد وهـــذا داره الطبس
مــــاذا تريــدون لا مــال تيسر لي
فيستمــاح ولا علـــــم فيقتبس

لقد نفى عن نفسه المال والعلم تواضعاً واستحياء ، أما المال فلم يكن لديه شيء منه على وجه التحقيق وأما العلم فقد كان أبو العلاء كنزه الثمين ومصدره الأمين .

والصفة التي كانت تقف حائلا بين أبي العلاء واسترساله في الفخر والكبر هي صفة الحياء التي امتاز بها الرجل حتى عرف بها وعرفت به . فقد كان يخشى النقد ككل محب للنقد ، ولعل هذه الصفة من الأضداد في الحياة ، ولا ننسى يوم أكل الدبس فرآه أحد تلامذته فسأله عما أكل فمد يده الى صدره وادرك ان نقطة من الدبس قد سقطت على صدره فمسحها وهو يقول خجلا مستحيياً ، قاتل الله النهم . ولم يأكل بعدها ، على قول الرواة ، الا مستخفياً في دهليز بيته .

اذن فنقد أبي العلاء يستند الى ملكة قوية دعمها العلم الصحيح في زمنه والثقافة المليئة العربية والغربية وهذا النقد كما قرر طه حسين في ذكرى ابي العلاء يمكن قسمه الى شطرين اولهما النقد العلمي او الأدبي وتمثله الرسائل التي كان يبعث بها الى الشعراء والكتاب ينقد بها الشعر والنثر نقداً تستشف منه السخرية اللاذعة في أكثر الأحيان وهو ما يمكن أن نسميه بالنقد الموضوعي الذي لا يتعلق أثره بشخص الشاعر أو الكاتب ، والشطر الثاني من النقد العلائي هو نقد العادات والأخلاق وما تواضع عليه الناس من اصطلاحات ويمثل هذا الشطر رسالة الغفران .

ولا بد من وقفة عند هذا الكتاب أو هذه الرسالة اذا شئتم فأنا اعتقد ان ابا العلاء قد قصد من كتابه هذا الى نقد المبالغات التي كانت تجري على السنة البسطاء دون أن يكون لها اصل مؤكد معروف . وابو العلاء في رأيي رجل مسلم صحيح الاسلام ، والمسلم في رأيي رجل مثقف ذكي كأبي العلاء لا يتقيد في حياته الا بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

دخل على أبي العلاء رجل من قراء المعرة يدعى ابا القاسم فلما صار في باحة الدار طلب منه احد القائمين أن يقرأ لهم شيئاً من القرآن الكريم فكان من هذا القارىء أن قرأ الآية الكريمة (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) وقد قصد من اختياره هذه الآية الكريمة التعريض بأبي العلاء وايذاء الشيخ لأنه حانق عليه ضيق بآرائه ونصائحه ونقده وارشاده . وتألم ابو العلاء من غير شك وكيف لا يتألم وهو الكفيف الذي لا يستطيع رد الشر بالشر ولكنه استعان بطبيعته الشعرية فهجا الرجل :

هـــذا ابــو القاسم اعجــوبــة
لكــــل مـــن يـــدري ولا يدري
لا ينظـــم الشعــر ولا يقـــــرأ القــرآن وهو الشاعر المقري

ودخل عليه يوماً الوزير المعروف بالمنازي فسأله : ما هذا الذي يرويه الناس عنك ، فقال أبو العلاء : قوم حسدوني فكذبوا علي ، فأجاب الوزير ، وعلام يحسدونك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة ، فقال ابو العلاء والآخرة ، والآخرة ، وردده‍ا مرتين مما يدل على أن الوزير قد قصد الى ايذائه بقوله ان الشيخ قد ترك الآخرة فيما ترك ولا يستغني عن الآخرة الا الزنادقة .

ولقد ذم ابا العلاء وهاجمه نفر كبير من المؤرخين كما مدحه نفر عديد أيضاً ، وقد جمعت آراء القدماء بأبي العلاء في كتاب ضخم بعنوان (تعريف القدماء بأبي العلاء) الذي أشرف على تأليفه الدكتور طه حسين ومن الاطلاع عليه يتبين أن أكثر خصوم أبي العلاء والمناوئين له كانوا يحملون الحقد العجيب حتى وصل الأمر ببعضهم الى الكلام البذيء الذي لا يجوز للعالم التفوه به . من ذلك ما رواه الباخرزي صاحب دمية القصر في حديثه عن أبي العلاء فقال : انما تحدثت الألسن باساءته لكتابه الذي زعموا انه عارض به القرآن وعنونه بالفصول والغايات ، ومحاذاة السور والآيات . ثم ينقل الباخرزي قصيدة لرجل يدعى القاضي ابا جعفر البحاثي الزوزني وفيها كلام جارح ينسب فيه لأبي العلاء كل وصف سيء الى أن يقول مخاطباً معرة النعمان :

امعــرة النعمــان مــــا انجبت اذ
اخرجت منك معــــرة العميــان

ويقول السمعاني صاحب الأنساب عن أبي العلاء ما نصه . حتى رماه بعض الناس بالالحاد ثم يقول : غير أنه تكلم في عقيدته .

ويقول ابن الأنباري صاحب نزهة الألباب في طبقات الأدباء ما نصه : ويمكن انه — اي ابو العلاء — كان برهمياً ويحكي عنه كلمات وأشعار موهمة توجب التهمة في حقه والله أعلم .

هذا الثبت الحافل من الآراء التي تحمل على ابي العلاء حملة منكرة كلهــا نــاشئة عن صراحة ابي العلاء . ولعلك لاحظت فيما رويت لك أن أكثر المتهجمين على أبي العلاء كانوا من طبقـــة القضاة ورجـــال الدين والسياسة ، وهؤلاء هم الذين كان يشكو منهم ابو العلاء وينسب اليهم الحسد منه . والحقيقة التي لا حقيقة غيرها أن شيخنا المعري كان شاعراً وعالماً كما قلنا غير مرة وأنه كان شديد الاحساس فلم يكن يستطيع كبت تأثره حين يتأثر وربما كان للسخر والنكتة اثر في دفعه الى الكلام شعراً ونثراً . وهو في كليهما ناقد لاذع يتأذى منه الناس

حتى اذا عوتب في ذلك أنكر أنه يقصد الى ما فهم الناس رغم أن العبارة لا يمكن أن تؤدي الا الى النقد الجارح .

ولم يكن نقد أبي العلاء لمجتمعه نتيجة رأي ثابت قائم لا يتحول ولا يتبدل ، فهذا الثبات لم يكن في يوم من الأيام شأن أبي العلاء فآراؤه كانت كلها في رأينا موقتة أو متناسبة مع الزمن ، لقد كان ينطق بالرأي نتيجة لمؤثر يؤثر فيه فجأة فيتكلم وربما زال الأثر فتبدل الرأي ومن هذه الآراء العاجلة آراؤه الدينية التي اتعبته في حياته والتي ما أشك أنه كان يتراجع عنها ساعة تهدأ اعصابه وتستريح نفسه .

وما من شك أيضاً أن أبا العلاء كان في ثورة دائمة أو نقمة دائمة فقد أصيب بالعمى وهو صغير ولا ذنب له ، في رأيه على الأقل ، فتولدت لديه فكرة الملل من الحياة والتأفف من الوجود مما كان يبعث فيه القول ويحرك هواجسه فتبدر بعض الأبيات والعبارات التي كانت تحمل السخر والنقد مما كان يهيج عليه الناس كما رأينا . ولكنه كان يرجع احياناً فيطمئن نفسه ليقول أنه يحمد الله على العمى وأنه مسرور بعدم رؤية الناس كقوله :

قالوا العمى منظر كريه
قلت بفقدي لكم يهون
والله ما في الوجود شيء
تأسى على فقده العيون

ولكني لا أصدق أبا العلاء في كلامه هذا مع احترامي الشديد له ، لأنه انما يعزي نفسه تعزية لا تغني عنه شيئاً وكيف يبدي رأيه في الكون والناس دون أن يراهما ولكنه مع ذلك يشكو الناس لعلمه أن بعضاً منهم كان يحسده ويؤذيه وينفس عليه عبقريته وذكاءه . وربما تقول عنه هؤلاء بما لم يقله ولقد وصف أولئك السعاة وصفاً فيه شيء من الأسى والألم فقال :

حاول اهواني قوم فما
واجهتهم الا بأهوان
تحرشوني بسعاياتهم
فغيروا نية اخواني
لو استطاعوا لوشوا بي الى
المريخ في الشهب وكيوان

لقد عاش شيخ المعرة أبداً بين كر وفر جيله كله ، كان الجيل مضطرباً في كل شيء وكان هذا الاضطراب ينعكس ثورة جائحه عند أبي العلاء وهو في عقر داره تأتيه الأخبار مكبرة تارة أو مصغرة وهو لا يرى من حقيقتها الا ما تسمع به اذناه وكانت ثورته عارمة تلقف ما يأفكون وكأنه كان موكلا بمجتمعه يحاول ارشاده وتصحيح اخطائه وكأن هذا المجتمع في رأي أبي العلاء أشبه بالولد المدلل يكره النصيحة ويضيق بالرشد حتى ثار على شيخه ورماه بكل مغلظة واقذاع .

لقد ظلم المعري من عصره واساء اليه ابناء جيله فكان في المعركة مجنياً عليه ، ولكنه في معركة أخرى كان ظالماً غير منصف في رأيي وفي رأي الكثيرين ممن قرأوا آثار ابي العلاء .

لقد ظلم أبو العلاء المرأة وكان من حقه أن يسكت عن شأنها كله أو أن يقف على الحياد لا يحبذ ولا يثبط ، لقد وصف المرأة وصفاً يقرب من الاحتقار ونعتها بنعوت تخالف ما كان عليه العدد الكبير من نوابغ النساء وفضلياتهن من اللائي خدمن الحياة الانسانية أجل الخدمات حتى عد في رأيه هذا من ناحية اخرى مخالفاً لما جاء في الكتب السماوية التي أعطت للمرأة حقها وأحسنت وصف عدد من النساء وعدتهن من حسنات الزمان . ولا ادري كيف أمكنه أن يرد على خصومه وهو الذي دعا الى ترك الزواج والى احتقار المرأة بل لقد حبذ في حد ثوراته الوأد ودفن النساء كما جاء في قوله العجيب :

ودفن والحوادث فاجعات
لاحداهن احدى المكرمات

ثم كيف نفسر مكافحته للنسل وهو مخالف للشرع الاسلامي مخالفة صريحة ونحن نعلم بالأحاديث النبوية الكثيرة الواردة في التشجيع على الزواج كما في قوله عليه السلام : لا رهبانية في الاسلام . أو قوله : تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الأمم يوم القيامة . وكيف يمكن أن نقرن هذين الحديثين وكثيراً غيرهما بقول أبي العلاء :

كل على مكروهه مبسل
وحازم الأقوام لا ينسل

أو قوله :

على الولد يجني والد ولو انهم
ملوك على امصارهم خطباء

أو قوله :

لو أن بني أفضل أهل عصري
لما آثرت أن أحظى بنسل

ولا أدري في نهاية المطاف كيف يمكن لأبي العلاء أن يسيء رأيه في المرأة وهو لم يتزوج ولم يعشق ولو غامر أبو العلاء فتزوج لكان من المعقول أن يقف نصف شعره على مدح المرأة الصالحة التي كانت تستطيع وحدها أن تعنى به وأن تنسيه بعض آلامه وأشجانه . ثم بماذا يمكن لأبي العلاء أن يجيب اذا روينا له بيت الشاعر :

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

كان على أبي العلاء أن لا يركب هذا المركب الصعب ولعمري أن موقفه من المرأة ليجعل القضية عليه لا له . ان آفة ابي العلاء كانت مفتاح شخصيته في كل نقده الذي هاجم مجتمعه ولقي من ورائه الغبن والأذى ، لقد كان يجهل صورة هذا العالم الحقيقية فجهل ما تحتوية هذه الصورة من جمال وفن فكان هجومه قوياً ولكنه لم يكن هجوماً مستنداً في كل أحواله الى المنطق السليم والحقيقة الصحيحة والواقع □



جلالة الملك فهد بن عبد العزيز يسلم أحد أفراد الدفعة الأولى من خريجي كلية الطب وثيقة التخرج .

كلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك فيصل تقدم للوطن باكورة ثمارها

سليمان نصر الله / هيئة التحرير

منذ انشاء جامعة الملك فيصل عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، راحت كلية الطب والعلوم الطبية الوليدة تشق طريقها بعزم وثبات ، فاستطاعت بفضل رعاية الدولة لها ، وتفاني القائمين عليها ، وجهود أساتذتها وطلابها وطالباتها ، أن تثبت وجودها ، لتغدو صرحاً علمياً شامخاً ، يجسد أحد المعالم البارزة للنهضة التعليمية في المملكة العربية السعودية .

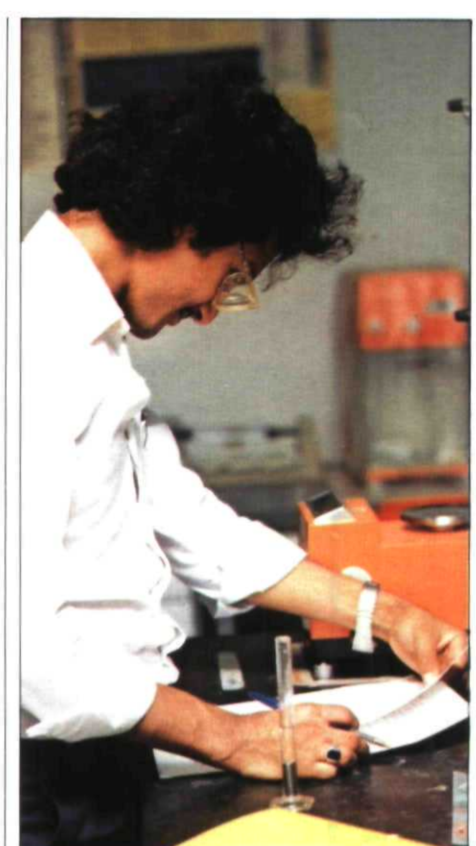
إن توفير الرعاية الصحية للمواطنين ، أمر أولته الدولة اهتماماً كبيراً ، وسعت الى تحقيقه بكل الطاقات والامكانات المتاحة ، فقد وضعت نصب عينيها في خططها التنموية المتعاقبة ، رفع المستوى الصحي في المملكة ، وتأمين الخدمات الصحية المجانية لجميع المواطنين ، ليس ذلك فحسب ، بل لكل الوافدين اليها في موسم الحج وغيره ، من مختلف انحاء العالم . وبفضل هذه السياسة الحكيمة ، فقد تحقق توسع كبير في عدد المستشفيات والمستوصفات والعيادات والأسرة ، وعدد الأطباء وهيئات التمريض . وأصبح التكامل بين عناصر الخدمات الوقائية وبين الخدمات العلاجية والتعليمية والتدريبية قائماً . كذلك حرصت الدولة في خطة التنمية الثالثة على توفير الأطباء والممرضين الوطنيين عن طريق فتح كليات الطب وكليات التمريض والمعاهد الصحية ، بالاضافة الى زيادة المنح في الدراسات الطبية في الخارج . فكان من ثمار هذا التخطيط ارتفاع عدد الملتحقين بالتخصصات الطبية المختلفة في كليات الطب الأربع الموجودة حالياً في جامعة الملك سعود بالرياض ، وجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وجامعة الملك فيصل بالدمام والاحساء ، وكلية الطب بأبها .

جامعة فتية وآمال طموحة

لقد كان انشاء جامعة في المملكة العربية السعودية قبل ربع قرن حلماً راود الكثيرين ممن كانوا يتطلعون الى اللحاق بركب الأمم المتقدمة . وما أن تحقق ذلك الحلم بانشاء أول جامعة وهي جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٣٧٧ هـ ، حتى انطلق التعليم الجامعي ليشمل مناطق أخرى من المملكة ، فهو يتمثل الآن في سبع جامعات وعشرات من الكليات الأدبية والعلمية المنتشرة في أرجاء هذا الوطن العزيز . . وهذه الجامعات والكليات تقوم بتخريج الآلاف من الشباب ، الذين يسهمون في صنع نهضة البلاد في المجالات التعليمية ، والاجتماعية ، والصحية ، والاقتصادية ، والصناعية ، والزراعية ، والعمرانية ، وغيرها من المجالات التي تبرز الوجه الحضاري لطموحات المملكة . من هذه الجامعات التي تسهم بشكل فعال في خطط التنمية في المملكة ، جامعة الملك فيصل التي مضى على تأسيسها سبع سنوات . فقد ولدت عام ١٣٩٥ / ١٣٩٦ هـ



أحد خريجي الدفعة الأولى من كلية الطب يقوم بإجراء فحص دقيق على احد الأطفال وذلك ضمن البرنامج التدريبي لسنة الأمتياز .



طالب يقوم بتسجيل معلومات اثر فحوصات مخبرية أجراها في أحد معامل كلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك فيصل بالدمام .



الدكتور توفيق محمد التميمي ، عميد كلية الطب والعلوم الطبية ، يقول : مهمتنا الأساسية تنحصر في توجيه طالب الطب لاكتساب المهارات الضرورية ليصبح طبيبا كفوا ، وإنماء روح البحث والتقصي فيه وإثراء رغبته في خدمة المجتمع .

(١٩٧٥ / ١٩٧٦ م) بموجب المرسوم الملكي رقم م/ ٦٧ وتاريخ ٢٨/ ٧/ ١٣٩٥ هـ وفتحت أبوابها في العام الدراسي ١٣٩٥ - ١٣٩٦ هـ حيث بلغ عدد الطلبة المقبولين في تلك السنة ١٧٠ طالباً ، كما بلغ عدد أعضاء الهيئة التدريسية فيها آنذاك ٢٥ أستاذاً . ولم يلبث ان ازداد عدد الطلاب الى أن وصل خلال العام الدراسي ١٤٠١ هـ الى ١٨٣٥ طالباً ، من بينهم ٥٣٩ طالبة ، وذلك بكلية الطب والعلوم الطبية وكلية التربية . وقد لخص معالي الدكتور محمد سعيد القحطاني ، مدير جامعة الملك فيصل ، دور الجامعة قائلاً : « ان رسالة الجامعة تتضمن اعطاء أكبر قدر من الخدمة والاتصال بالمجتمع والتفاعل المباشر معه للأخذ بيده الى آفاق التقدم المنشود . واذا كان الفرد هو اللبنة الأولى في المجتمع ، فيجب أن نتوجه اليه بأكبر قدر من الترشيد والأصالة والاتصال ، واعداده ليكون مواطناً قادراً على البناء والتضحية في سبيل تحقيق المثل الاسلامية العليا التي يتبناها المجتمع . والجامعة هي من أقدر المؤسسات في المجتمع على أداء هذه المهمة الصعبة بأسلوب علمي ومنهج واضح ، للوصول بالفرد والجماعة الى أعلى مستويات الأداء . وهذا هو التحدي الحقيقي الذي تواجهه الجامعات في البلدان الاسلامية ، بل هو ، كما قلت ، دورها ورسالتها . وقد وفرت جامعة الملك فيصل تخصصات مطلوبة للمنطقة الشرقية بوجه خاص وللمملكة بوجه عام ولمنطقة الخليج العربي أيضاً . وتجيء جامعة الملك فيصل لتؤدي هذا الدور مع شقيقاتها من جامعات المملكة ، حيث اسهمت ولا تزال تسهم في تخريج أجيال يجمعون بين العلم والعمل ، ويعيشون مشاكل أمتهم . لقد بدأت هذه الجامعة بهدف محدد وواضح ، وهو تعليم الرواد والقادة الذين يمكن لهم أن يتقلدوا المراكز المختلفة في الأجهزة الحكومية والقطاع الخاص ، في الوقت الذي يسهرون فيه على حماية القيم الدينية والخلقية ، التي أرساها الدين الاسلامي . ولهذا فان الدور الرئيسي الذي تقوم به جامعة الملك فيصل هو اعداد الطلاب والطالبات للاسهام اسهاماً نشطاً وفعالا في تطوير وانماء مملكتنا ضمن القيم الدينية والخلقية الاسلامية ، وبالاضافة الى هذا فان الجامعة تسهم في نشر المعرفة عن طريق تشجيع الأبحاث والدراسات » .

وانطلاقاً من هذه الأهداف المحددة ، بدأت جامعة الملك فيصل بأربع كليات منها اثنتان في مدينة الدمام وهما كلية الطب والعلوم الطبية ، وكلية العمارة والتخطيط . واثنتان في الاحساء هما كلية العلوم الزراعية والأغذية ، وكليـة الطب البيطري والثروة الحيوانيـة . وقد افتتح في بداية العام الدراسي ١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ كلية التربية بالاحساء ، لاعداد ما تحتاجه المدارس الثانوية والمتوسطة من المدرسين المؤهلين علمياً وتربوياً لمختلف المقررات الدراسية . كما يتضمن المخطط التعليمي للجامعة افتتاح كلية للعلوم الادارية بالاحساء وكلية للعلوم الانسانية بالدمام ، وكلية للعلوم التطبيقية . وسيكون هناك أقسام للبنات ضمن أقسام الكليات الجديدة شأن كلية التربية وكلية الطب ، وكلية العمارة والتخطيط ، وكلية العلوم الزراعية والأغذية (قسم الاقتصاد المنزلي) .

البدء من الصفر

بدأت الجامعة الوليدة مسيرتها بداية متواضعة من الناحيتين التعليمية والعمرانية ، فلم يكن لها مبان مستقلة عند نشأتها ، بل خصص لها بعض المباني القديمة القائمة على أرض المستشفى العسكري القديم . الواقع في منتصف الطريق الساحلي الذي يربط مدينتي الدمام والخبر . وبعد أن تم في مطلع عام ١٣٩٥ هـ تعيين الدكتور عبد الرحمن آل الشيخ وكيلا للجامعة ، والدكتور محمد سعيد القحطاني عميداً لكليتي الزراعة والبيطرة والدكتور محمد تركي التركي عميداً لكلية الطب والعلوم الطبية ، والدكتور أحمد فريد مصطفى عميداً لكلية العمارة والتخطيط ، بدأ التفكير في وضع الخطط للبدء في التدريس ضمن الامكانات المتاحة . ولدى تعيين معالي الدكتور عبد الرحمن آل الشيخ وزيراً للزراعة تولى الدكتور محمد سعيد القحطاني منصب وكيل للجامعة ، ثم صدرت الارادة الملكية بتعيينه مديراً لها ، وتعيين الدكتور محمد تركي التركي وكيلا للجامعة بالنيابة ثم وكيلا للجامعة ، وتعيين الدكتور توفيق محمد التميمي عميداً لكلية الطب والعلوم الطبية .

بـدأ التدريس الفعلي في بعض المبـاني المصنعة ، التي أقيمت في شطري الجامعة في الدمام والاحساء . كما تم استئجار مبان أخرى في الدمام والخبر ، لتكون مراكز للادارة ولاقامة أعضاء الهيئة التعليمية والطلاب . وفي الوقت ذاته أخذت بعض الأبنية الدائمة ترتفع شامخة بين الأبنية المصنعة لتكون النواة لأبنية

أخرى تضم مرافق الجامعة من ادارية وتعليمية وسكنية وترفيهية . هذا وقد تم مؤخراً الانتهاء من وضع التصاميم النهائية لمشروعي المدينتين الجامعيتين في الدمام والاحساء اللتين تشتملان على جميع احتياجات الجامعة من المباني ، والمرافق والمعامل ، والمكتبات والملاعب . وهكذا استطاعت هذه الجامعـــة ، بفضل القائمين عليهـــا ، أن تشق طريقهـــا وتثبت وجودها في فترة قصيرة ، وتحولت المباني المتواضعة الى صروح شامخة تنعكس ظلالها على مياه الخليج العربي . ليس ذلك فحسب ، بل خرّجت في هذه الفترة الوجيزة أفواجاً من الكفاءات الوطنية المؤهلة أكاديمياً وتقنياً في مختلف المجالات للمشاركة في تنمية وتطوير المملكة .

كلية الطب والعلوم الطبية

حينما بدأت الدراسة في جامعة الملك فيصل عام ١٣٩٥/١٣٩٦ هـ تقدم الى كلية الطب ٥٩ طالباً . ولما كانت الجامعة في بدء حياتها التعليمية تعاني من نقص في المعامل والمباني وأعضاء هيئة التدريس ، جرى ارسالهم الى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة اللغة الانجليزية والمبادىء الأساسية للطب والعلوم الطبية . وبقي هؤلاء الطلاب سنة كاملة في أمريكا عادوا بعدها الى رحاب الجامعة حيث تم انجاز بعض المباني الخاصة بالكلية ليواصلوا مسيرتهم في حقل الطب .

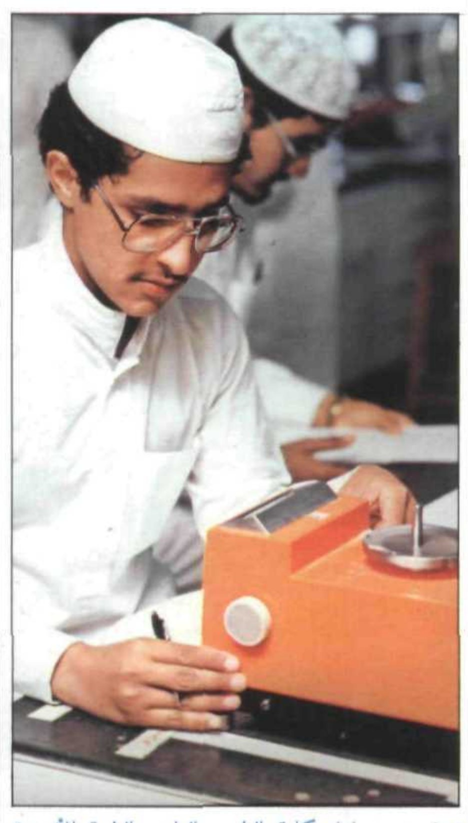
هذا وكان الاقبال على دراسة الطب شديداً في السنوات التالية من قبل الطلاب والطالبات . وأخذ عدد طلبة الكلية يزداد تدريجياً ، حتى بلغ في العام الدراسي (١٤٠١ هـ) ٥٩٢ طالباً منهم ٢٨١ طالبة ، كما أخذ عدد أعضاء الهيئة التدريسية فيها يرتفع باطراد حتى وصل الى ١٣٠ أستاذاً في العام الدراسي نفسه .

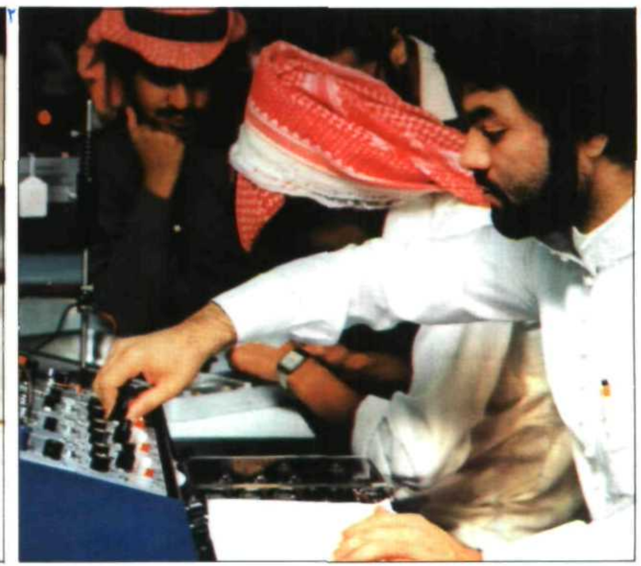
وتقبل الكلية الطلاب والطالبات الحاصلين على الشهادة الثانوية العامة من القسم العلمي بمعدل عام يصل ثمانين بالمئة بتقدير جيد جداً في الكيمياء والأحياء والفيزياء والرياضيات واللغة الانجليزية. وبعد اجراء امتحان قبول تحريري وشفهي في تلك المواد،ويتم التدريس فيها حالياً باللغة الانجليزية ، مع العلم بأن هناك خطوات جادة في سبيل تعريب التعليم الطبي من قبل القائمين على الكلية . أما مدة الدراسة فيها فهي سبع سنوات ، بما في ذلك سنة الامتياز ، يتخرج الطالب بعدهـــا بدرجة البكالوريوس في الطب والجراحة . ولدى لقائنا بأول عميد لكلية الطب والعلوم الطبية الدكتور محمد تركي التركي قال : رغم الصعاب التي واجهناها في مستهل مسيرة هذه الكلية ، فاننا اساتذة وطلاباً واداريين ، استطعنا بالتعاون المخلص تذليل تلك الصعاب . كما أن ما نسعى اليه دائماً هو اعداد فريق من الأطباء والطبيبات على مستوى عال من الكفاءة ، مع التركيز أثناء الدراسة على أمراض البيئة والطب الوقائي ، لتمكينهم من المشاركة الفعالة في رفع المستوى الصحي في أرجاء المملكة العربية السعودية .

أهداف نبيلة وبرامج مدروسة

منذ أن باشرت الكلية مهامها راحت تحدد أهدافها ضمن القيم الاسلامية الرفيعة ، لتخريج الطبيب المسلم الذي يعمل بوحي من أسس ومبادىء اسلامية سامية . وحول هذا الموضوع التقينا بعميد الكلية الدكتور توفيق محمد التميمي ، فحدثنا عن بعض المشاريع الخاصة بالكلية ، اذ تقرر انشاء مجمع للطب والعلوم الطبية على شاطىء الخليج العربي ، بين الدمام والخبر ، يشتمل على كلية الطب البشري القائمة حالياً بالاضافة الى كليات طب الأسنان والتمريض والعلوم الصحية المساعدة ، ومركز البحوث الطبية ، ومستشفى الخبر التعليمي الذي راح يزاول نشاطاته في فترة وجيزة . وقد تطرق سعادة الدكتور التميمي الى أهداف كلية الطب والعلوم الطبيـــة قائـــلاً : من بين تلك الأهداف السعي الى نشر وتطبيق التعاليم والتقاليد الاسلامية في كل ما يتعلق بالنواحي الانسانية لممارسة المهن الطبية والتحلي بآدابها ، وتوجيه الطالب لاكتساب المهارات الضرورية ليصبح طبيباً كفوأً ، علاوة على انماء روح البحث والتقصي فيه واثراء رغبته في خدمة المجتمع ، وتشجيع البحث العلمي الهادف الى تطوير الرعاية الصحية ، في مجالات العلوم الطبية الأساسية والسريرية والاجتماعية ، ووسائل تقديم الخدمات الصحية وطرق التدريب الطبي ، ووضع برامج للدراسات العليا لتدريب وتأهيل الأطباء والباحثين والأساتذة في التخصصات السريرية وفي العلوم الأساسية ، وتشجيع استمرارية التعليم الطبي للارتقاء بمستوى أداء كل العاملين في القطاع الصحي ، وتقديم خدمات نموذجية في مجالات الرعاية الصحية الأولية والثانوية والتخصصية ، وتركيز الوسائل التعليمية المتطورة بالكلية لخدمة التعليم الطبي


اثنان من طلاب كلية الطب يقفان أمام مدخل مبنى الكلية .


تتوفر في معامل كلية الطب والعلوم الطبية الأجهزة الحديثة التي يستخدمها الطلاب في الدراسة العملية .











للعاملين في المجال الصحي وللمنظمات المرتبطة بتقديم الرعاية الصحية وللمجتمع بوجه عام . وتمشياً مع المبادىء الاسلامية السامية ، وتحقيقاً لتلك الأهداف ، فان برامج كلية الطب قد وضعت ليكتسب الطالب منها القدرة على حل المشاكل الصحية في المملكة وبلدان الشرق الأوسط . وينطبق هذا المبدأ على مجالات التعليم الطبي المختلفة ، والتي تشمل فترة التخرج والدراسات العليا والتعليم المستمر . ونظراً للتطور السريع في البحوث الطبية ، وفي الوسائل التقنية المختلفة وما ينجم عنها من استحداث لاساليب جديدة في التشخيص والوقاية والعلاج ، فان المهارات التي يكتسبها طالب الطب أو الخريج هي أيضاً في تغير مستمر . وتركز برامج الكلية على طب المجتمع بوجه خاص ، وتبعاً لذلك فانه يتعين على خريج الكلية أن يعمل دوماً في نظام حديث متجدد في مجال الرعاية الصحية الأولية أو في التخصصات الطبية الأخرى المتعددة .

مراحل الدراسة في كلية الطب

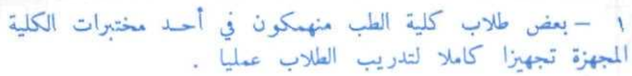
تنقسم الدراسة في كلية الطب والعلوم الطبية الى ثلاث مراحل ، وتتم حالياً باللغة الانجليزية ، وهذه المراحل هي :

المرحلة التأسيسية : ومدتها عامان تكرس لدراسة اللغة الانجليزية ، والفيزياء ، والأحياء ، والكيمياء العامة والعضوية ، ومدخل لعلم الأجنة ، والأنسجة ، والاحصاء الطبي .

المرحلة ما قبل السريرية : ومدتها عامان تكرس لدراسة طب المجتمع ، والتشريح ، والكيمياء الحيوية ، ووظائف الأعضاء ، وعلم الأحياء الدقيقة والطفيليات ، وعلم العقاقير ، وعلم الأمراض ، ومدخل للجراحة ، ومدخل الطب الباطني ، ومدخل أمراض الأطفال ، ومدخل أمراض النساء والولادة . كما يدرس الطالب ثلاثة مقررات أخرى هي الجملة العصبية وطب المختبر والدورة المشتركة . وتعتبر هذه المقررات همزة الوصل بين العلوم الأساسية والدراسات السريرية .

المرحلة السريرية : ومدتها عامان تكرس للدراسات السريرية في المستشفى الجامعي والمستشفيات الأخرى المرتبطة بالكلية ومركز





١ – بعض طلاب كلية الطب منهمكون في أحد مختبرات الكلية المجهزة تجهيزا كاملا لتدريب الطلاب عمليا .

٢ – تشريح الحيوانات المخبرية جزء أساسي في تدريب الطلاب .

٣ – مجموعة من طلاب كلية الطب يقومون ببعض التجارب المخبرية .

٤ – جانب من المباني بكلية الطب والعلوم الطبية .

٥ – سعادة الدكتور محمد تركي التركي ، وكيل جامعة الملك فيصل يتحدث عن نشأة كلية الطب .

٦ – أحد خريجي كلية الطب بجامعة الملك فيصل بالدمام يزاول المهنة في سنة الامتياز .

٧ – الأستاذ عبد الله الماجد ، مدير دار المريخ ، التي شاركت في معرض الكتاب الطبي أثناء انعقاد الاجتماع الطبي السعودي السابع في رحاب جامعة الملك فيصل بالدمام .



الرعاية الصحية الأولية . ويشتمل التدريب على الرعاية الصحية الأولية ، والطب الباطني وفروعه المختلفة ، والجراحة ، وطب الأطفال ، وأمراض النساء والولادة ، وطب العيون ، والأمراض النفسية ، وجراحة العظام ، والمسالك البولية ، وأمراض الجلد ، والتخدير ، والأشعة ، وأمراض الأنف والأذن والحنجرة ، والأمراض العصبية . أما في السنة السابعة ، وهي سنة الامتياز ، فيتدرب الخريج تدريباً سريرياً عالياً تحت اشراف أعضاء هيئة التدريس . وتشمل متطلبات الكلية للتخرج بالاضافة الى اللغة الانجليزية ، ثماني ساعات معتمدة للثقافة الاسلامية ، تدرس على مدى الأربع سنوات الأولى . وساعة معتمدة للتربية البدنية .

ولدى الكلية مختبرات ومعامل مجهزة تجهيزاً كاملا لتدريب الطلاب عملياً ، وتشتمل على التشريح ، والكيمياء ، والأحياء ، والفيزياء ، وعلم وظائف الأعضاء ، وعلم الأمراض ، والكيمياء الحيوية ، وعلم العقاقير ، وعلم الأحياء المجهرية . وتستعمل هذه المعامل لتدريب الطلاب والطالبات في أوقات مختلفة . هذا وقد تم انشاء مختبرات جديدة في مبنى الكلية الجديد ، كما تم انشاء عشرة مختبرات للبحث العلمي . كما تتوفر في أقسام الكلية الوسائل السمعبصرية ، والأفلام والأشرطة الطبية ووسائل العرض . ولدى الكلية مكتبتان ، احداهما للطلاب والأخرى للطالبات ، تحتويان على نحو عشرة آلاف كتاب ، بالاضافة الى نحو ٥٥ دورية ومجلة طبية . وفي كل من المكتبتين عدد من أجهزة قراءة الأفلام بنوعيها الميكروفيش والميكروفيلم ، مما يسهل الاطلاع على الأعداد القديمة من المجلات والنشرات الدورية .

برامج الدراسات العليا

ان من اهم اهداف كلية الطب والعلوم الطبية ، وضع برامج للدراسات العليا ، لتدريب وتأهيل الأطباء والباحثين والأساتذة في التخصصات السريرية ، وفي العلوم الأساسية وتشجيع استمرارية التعليم الطبي للارتقاء بمستوى اداء كل العاملين في القطاع الصحي . وقد قامت ادارة الكلية مؤخراً بوضع اللبنات الأولى في برامج الدراسات العليا . فبناءً على الاتفاقية

المبرمة بين جامعة الملك فيصل وكلية الجراحين الايرلندية ، فان كلية الطب والعلوم الطبية ، تنظم دورة تدريبية مكثفة كل عام لمدة شهرين ، للأطباء السعوديين والوافدين من دول الخليج والبلدان العربية والاسلامية ، يعقبها امتحان الجزء الأول لزمالة الجراحة والذي يعقد سنوياً في الكلية . ويشترك في الامتحانات اساتذة من جامعة الملك فيصل الى جانب اساتذة زائرين من كليات الجراحة الملكية بايرلندا والمملكة المتحدة واستراليا . كما تنظم الكلية ندوات شهرية في شتى التخصصات الطبية يشترك فيها اساتذة الكلية الى جانب الأساتذة الزائرين والأطباء العاملين في المستشفيات الحكومية والخاصة بالمنطقة الشرقية . وتنظم الكلية بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس في مجال التعليم الطبي . هذا وتجرى حالياً ، علاوة على الاتفاق الذي تم مؤخراً ، مشاورات بشأن عقد امتحان الجزء الثاني لزمالة الجراحة الايرلندية بكلية الطب بجامعة الملك فيصل . بالاضافة الى تنظيم دورات تدريبية سريرية للأطباء الذين يرغبون في تأدية هذا الامتحان . كما بدأت الاتصالات مع كلية الطب الملكية الايرلندية ، لتنظيم دورات تدريبية لنيل درجة الماجستير في الطب الباطني من جامعة الملك فيصل ، بحيث يشترك في الدورة والامتحان الخاص بالماجستير اساتذة الجامعة مع اساتذة زائرين من كليات الطب الملكية بايرلندا والمملكة المتحدة والكليات الملكية الأخرى . وستعتبر درجة الماجستير معادلة للجزء الأول من زمالة الطب الباطني ، مما يؤهل الحاصلين عليها للجلوس لامتحان الجزء الثاني من زمالة كلية الأطباء الملكية .

هذا وتقوم الكلية ايضاً باعداد دورات تدريبية للأطباء الذين يرغبون في الجلوس لهذا الامتحان محلياً . كما تعكف الكلية على الدراسة والتخطيط لبرامج الدراسات العليا في العلوم الأساسية ، وزمالة المجلس العربي لطب الأطفال ، وللتوليد والنسائيات ، وللجراحة العامة ، وللأمراض الباطنية .



وكجزء من المجتمع الأكاديمي العالمي ، تحرص الكلية على المشاركة في اثراء الفكر الانساني والتقدم الحضاري ، عن طريق اجراء البحوث العلمية ، ولهذا فقد انشأت ادارة خاصة تعنى بالبحوث والتأليف والترجمة والنشر . وقد وافق المجلس العلمي على تمويل مشروعين هما : آثار الكورتكوستيرويد واملاح حامض السلاسليك على غضاريف المفاصل ، ودراسة الكسور والأمراض العظمية باستعمال الذبذبات ما فوق الصوتية . كما قام المركز الوطني السعودي للعلوم والتكنولوجيا بالرياض بتمويل مشاريع بحوث عديدة ، منها دراسة مرض الأنيميا المنجلية الذي يصيب الأطفال بالمنطقة الشرقية ، والعلاقة بين التلوث الكيميائي والميكروبي لمياه الشرب وانماط المرض والمشاكل الصحية بالمنطقة الشرقية ، وتصميم وتركيب وتقديم مركبات قاتلة لقواقع البلهارسيا ، ومرض اللشمانيا بالمنطقة الشرقية ، واستعمال العقل الالكتروني في تدريس مادة علم العقاقير بالتعاون مع قسم العقل الالكتروني بجامعة البترول والمعادن بالظهران . وعدا عن ذلك فان الكلية تسهم بشكل فعال في عقد ندوات ومؤتمرات علمية وطبية ، منها الاجتماع الطبي السعودي الرابع عام ١٩٧٩ ، والندوة الطبية لمرض اللشمانيا عام ١٩٨٠ ، والاجتماع الطبي السعودي السابع عام ١٩٨٢ . وتصدر الكلية مجلة « الفيصل الطبية » التي يقوم بتحريرها طلاب الكلية ، وهي من المجلات الطبية العربية الراقية شكلاً ومحتوى . وتسعى الكلية جاهدة الى وضع الأسس السليمة للتعريب والمشاركة في توحيد المصطلحات العلمية العربية ، ووضع الضوابط والأسس للترجمة والتأليف والنشر في العالم العربي .

مستشفى الخبر التعليمي

جرى افتتاح هذا المستشفى في ١٩ مايو ١٩٨١ برعاية صاحب السمو الأمير عبد المحسن ابن جلوي ، أمير المنطقة الشرقية . وهو احد المستشفيات الخمسة التي انشأتها وزارة الصحة والتي تهدف من ورائها الى تحسين الخدمات الصحية بالمملكة . ولدى الانتهاء من بنائه تم الاتفاق بين جامعة الملك فيصل ووزارة الصحة على ان تقوم الجامعة بتشغيله وادارته بالتعاون مع وزارة الصحة لمدة خمس سنوات . ولدى لقائنا مع الدكتور عبدالله ابو ملحة ، مدير عام الشئون الفنية بالمستشفى ، قال : لا اتجاوز الحقيقة ، اذا قلت ان هذا المستشفى يعتبر احدث المستشفيات الموجودة بالمنطقة الشرقية والمملكة ، حيث انه يحتوي على معدات بالغة التطور ، كما يوجد به عدد من الأطباء الأكفاء الذين تعاقدت معهم الجامعة . ويمكن تلخيص الأهداف العامة لهذا المستشفى في تقديم الخدمات الطبية للحالات المحالة اليه من مستشفيات الحكومة في المنطقة الشرقية والمستشفيات الخاصة التي تتعاون مع كلية الطب ، علاوة على القيام بمهام التعليم ، والتدريب ، والبحث .



ويحتوي المستشفى على قسم خاص بالعلاج الطبيعي — Physical Therapy ، ووحدات للتعقيم المركزي ، وعيادات خارجية ، وقسم للطوارىء والحوادث ، وآخر للأشعة . كما يشمل ست وحدات ثابتة وعدة وحدات متنقلة و « جهاز التشخيص المقطعي — Cat Scan » الذي يعتبر احدث جهاز الكتروني للتشخيص بالأشعة حتى الآن ، حيث يساعد على تشخيص الأمراض عن طريق أخذ آلاف الصور في وقت قصير جداً ، وتحليلها عن طريق الكمبيوتر . كما يضم المستشفى غرفاً لأجراء العمليات الكبيرة والصغيرة ، ومكاتب للأطباء ومختبراً مركزياً يضم مختبرات لفحص الدم — Hematology وللأحيـــاء الدقيقـــة — Microbiology وللأنسجة — Histology . وكذلك يضم المستشفى جناحاً لترقيد المرضى يتسع لـ ٣٨١ سريراً موزعة على الأمراض الباطنية ، والجراحة ، وأمراض النساء ، والولادة ، والعظام ، والعيون ، وغيرها . كما ان به عدة وحدات اخرى منها وحدة العناية المركزة ووحدة غسل الكلى ، ووحدة علاج مرض القلب . هذا ويوجد لدى المستشفى فريق من الخبراء والمتخصصين في الحاسب الالكتروني لحفظ السجلات الطبية ، وتدريب الأفراد ، وايجاد الكفاءات اللازمة .

ومن ناحية اخرى ، تقوم الجامعة باستقدام الأفراد والكفاءات الطبية العالية من جميع انحاء العالم وذلك لتوفير مستوى تعليمي عال لطلاب كلية الطب والعلوم الطبية ، وتقديم الخدمات الصحية اللازمة للمجتمع . وتتعاون الكلية حالياً مع عدد من المستشفيات في المنطقة الشرقية منها مستشفى الهفوف العام ، ومستشفى أرامكو ، والمستشفى المركزي بالدمام ، ومستشفى محمد فخري ، ومستشفى عبد الله فؤاد ، والمستشفى العسكري وذلك بقصد تعليم الطلاب ، وخاصة طلاب سنة الامتياز ، العلوم السريرية ، كما تتعاون مع مركز السليمانية الطبي بالبحرين لتدريب طلاب كلية الطب . وللكلية علاقات اكاديمية مع كلية الجراحة بايرلندا وجامعات امريكا وكندا ونيوزيلندا واستراليا .

١ – معالي الدكتور عبد الرحمن آل الشيخ ، وزير الزراعة والمياه ، في حفل تخريج الفوج الأول من طلاب وطالبات كلية الطب والعلوم الطبية .

٢ – سعادة الدكتور عبد الله محمد أبو ملحة ، مدير عام الشئون الفنية بمستشفى الخبر التعليمي في حديث مع كاتب السطور .

٣ – صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز أثناء جولته في معرض الكتاب الطبي ويبدو عن يمينه معالي الدكتور محمد سعيد القحطاني ، مدير الجامعة ، وسعادة الدكتور حسن محمد البريكي ، أستاذ الجراحة في كلية الطب .

٤ – المدخل الرئيسي لمبنى مستشفى الخبر التعليمي .

٥ – صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز الذي رعى حفل افتتاح الاجتماع الطبي السعودي السابع في رحاب جامعة الملك فيصل، قام بجولة في معرض الأدوات والمعدات الطبية الذي أقيم بهذه المناسبة ، وقد رافقه في الجولة معالي الدكتور محمد سعيد القحطاني مدير الجامعة والدكتور حسن محمد البريكي وعدد كبير من الوزراء والأمراء وأساتذة الكلية والمشاركين في الاجتماع الطبي .

٤



٥



الفهد يرعى حفل التخرج الأول لكلية الطب

في ٢٧ صفر ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٣ ديسمبر ١٩٨١ م احتفلت الجامعة بتخريج ٢١ طبيباً و ١٣ طبيبة يمثلون الفوج الأول بل الثمرة الأولى لكلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك فيصل ، برعاية صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى . وقد حضر هذا الحفل صاحب السمو الملكي الأمير عبد المحسن ابن جلوي ، امير المنطقة الشرقية ، ومعالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ ، وزير التعليم العالي والرئيس الأعلى للجامعات ، وعدد من اصحاب السمو الأمراء ، واصحاب المعالي الوزراء ، ومديرو الجامعات والكليات في المملكة ، وعدد من الأطباء ، وجمهور غفير من ابناء المنطقة ، واسرة الجامعة من اساتذة وطلاب ، واولياء امور الخريجين ، ورجال الصحافة والاعلام . وفي تلك المناسبة عبر جلالة الملك فهد بن عبد العزيز عن فرحته قائلاً : « ان هذا اليوم السعيد هو من اعز الأيام التي كنت اتمنى ان احظى بها . ففي حياة الأنسان ايام يمكن ان تكون من اسعد الأيام في حياته . فقد كان لي شرف خدمة العلم في بداية انشاء وزارة المعارف » . وهنأ معالي الدكتور محمد سعيد القحطاني ، مدير الجامعة ، الخريجين قائلاً : « تهنئة أزفها من أعماق القلب والوجدان الى كل من قد حالفه الحظ من أطباء المستقبل ليعيش ويحتفل بهذا اليوم الأغر الجميل ، الذي تشد فيه اليد الكريمة للفهد على يده مباركاً مهنئاً ، ومعه ايادي وقلوب كل من تشرف وواكب كفاحكم وعملكم وسهركم ، لتنالوا ما تستحقون من هذا التشريف » . ووجه الدكتور توفيق محمد التميمي ، عميد كلية الطب ، كلمة طيبة للخريجين قال فيها : « لا يسعني وانتم طليعة ثمار كلية الطب والعلوم الطبية الا أن أتقدم لكم في عيد تخرجكم هذا بأطيب التهاني ، وبهذه المناسبة أود أن أوصيكم بتقوى الله في كل شيء ولكم في كتابه الكريم وسنة نبيه العظيم خير هاد ومعين . ولعلكم تجدون ان جهاد النفس الذي أنتم مقبلون عليه هو خير نبراس لحياتكم العملية سيجني الوطن والمواطنون من ورائه خدمات جليلة طال انتظارها وسيعود عليكم برضاء الله ومحبته » . وفي هذه المناسبة عبر بعض الخريجين عن آمالهم وطموحاتهم بعد ست سنوات من البحث المضني في الكتب

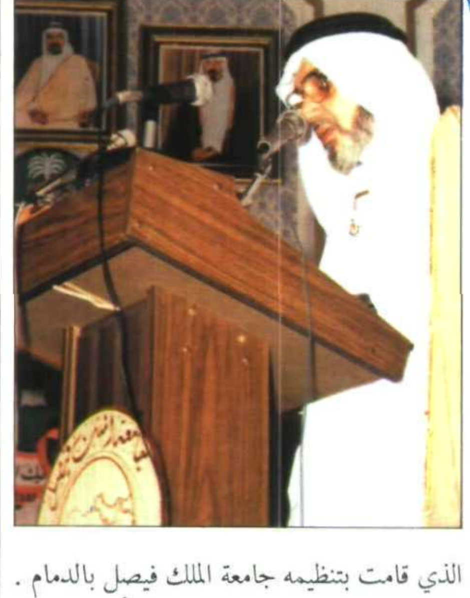


١

الطبية والمعامل والمستشفيات . فهذا سليمان السحيمي يقول : ان الايمان الذي نتسلح به والحصيلة العلمية التي جنيناها في كليتنا ، وهي حصيلة لا تقل عن مثيلاتها في أية كلية مماثلة في العالم ان لم تفقها ، هي ما يعطينا الثقة في أن نكون أهلاً للمسئولية الملقاة على عاتقنا . وهذا محمد فهاد الدوسري يقول : أطمح في أن أقدم ما في وسعي أنا وجميع أطبائنا السعوديين لتطوير الخدمات الطبية في مملكتنا الحبيبة . أما عبد المحسن عبدالله الملحم فيقول : انني سعيد جداً بتحقيق حلمي وطموحي ، وفي الوقت ذاته أشعر بعظم المسئولية الملقاة على عاتقي وأنا أمارس العمل في المجال الطبي . وهذه قمري علي الهندي تقول : كنت انتظر هذا اليوم السعيد بفارغ الصبر وأشكر الله على تحقيق رغبتي ، وأشعر بالامتنان لكل من وقف وراء نجاحي وتحصيلي .

والجدير بالذكر أن الخريجين والخريجات قد التحقوا بالمستشفيات المحلية كجزء من برنامج تدريبهم أثناء سنة الامتياز باشراف الأطباء المقيمين وأساتذة الكلية . ومن بين هذه المستشفيات التي انضم اليها الأطباء الجدد مستشفى الخبر التعليمي ومستشفى الهفوف العام ، وذلك لاكتساب الخبرة قبل ممارسة مهنة الطب رسميا .





٢

الجامعة تحتضن الاجتماع الطبي السعودي السابع

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز ، ولي العهد ، جرى في ١٠ رجب ١٤٠٢ هـ الموافق ٣ مايو ١٩٨٢ م حفل افتتاح الاجتماع الطبي السعودي السابع ، الذي قامت بتنظيمه جامعة الملك فيصل بالدمام . وقد كان ذلك الاجتماع الطبي أكبر تجمع طبي علمي تشهده المملكة خلال عام ١٩٨٢ ، نظراً لالتقاء ما ينوف عن ألفي طبيب من داخل المملكة وخارجها . ولعل استضافة الجامعة لهذا الحشد الكبير من الأطباء لدليل ساطع على ما توليه هذه الجامعة الفتية ، ممثلة بكلية الطب ، من عناية فائقة بالأوضاع الصحية في المملكة من ناحية ، وحرصها على مواكبة كل ما يستجد في عالم الطب من ناحية أخرى . ومما عزز الأهداف المرجوة لهذا الاجتماع الطبي هو تعاون القطاعات المعنية بالشئون الصحية في المملكة وهي وزارة الصحة ، والخدمات الطبية للحرس الوطني والخدمات الطبية بوزارة الدفاع والطيران ، والخدمات الطبية للأمن العام بوزارة الداخلية ، في أعمال هذا الاجتماع الطبي الذي استغرقت مداولاته أربعة أيام ، والذي قدم فيه ٣٤٣ بحثاً ، منها ٢٢٠ بحثاً






١ – جلالة الملك فهد بن عبد العزيز يرعى حفل التخرج الأول لكلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك فيصل .

٢ – سعادة الدكتور توفيق محمد التميمي ، عميد كلية الطب ، يلقي كلمة في الاجتماع الطبي السعودي السابع .

٣ – عدد من خريجي الفوج الأول من كلية الطب والعلوم الطبية .

٤ – جانب من المشاركين في الاجتماع الطبي السعودي السابع الذي عقد في رحاب جامعة الملك فيصل بالدمام .

تصوير :
جون تشامبني
علي عبدالله خليفة
عبدالله دبيس

من داخل المملكة ، والباقي شارك فيه أطباء من ٢٨ دولة . وقد تناولت هذه البحوث الأوضاع الصحية في كافة أنحاء المملكة واستعرضت كل ما استجد في عالم الطب بجميع فروعه من تقدم تقني ومهني . وقد لخص صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز ، ولي العهد ، رسالة الطبيب بقوله في الكلمة التي وجهها الى المشاركين في الاجتماع الطبي السعودي السابع : « ان القسم الذي يؤديه الطبيب عند تخرجه يحدد مهمة الطبيب في مجتمعه شكلا ومحتوى ، ويجعل من الطب رسالة لا حرفة ومهنة . رسالة لا يعرف حاملها أمام نداء الواجب تردداً أو تلكؤاً أو مساومة أو ترقباً لنفع أو طلباً لمنفعة ، انها رسالة انسانية الجوهر شمولية الفعل ، تنهار أمامها الحواجز النفعية والحدود العنصرية والفواصل القومية » . وكان من أهم أهداف هذا الاجتماع الطبي هو رفع مستوى الخدمات الصحية بالمملكة عن طريق نشر الوعي الصحي بين المواطنين ، واستمرارية الاجتماعات الطبية السنوية ، ونشر روح المشاركة الطبية بين قطاعات المملكة المختلفة ، واتاحة الفرصة للأطباء السعوديين للمشاركة في الاجتماعات والمؤتمرات الطبية لاكتساب الخبرة اللازمة ، وتوثيق الصلات بين كليات الطب والمرافق الصحية بالمملكة وبين المؤسسات الطبية العالمية . وقد نوقش في الاجتماع موضوعات طبية متنوعة تناولت التعريب والتعليم الطبي ، والطب الباطني ، وأمراض النساء والتوليد ، وطب الأطفال ، والرعاية الصحية الأولية ، واستعمال العقاقير وسوء استخدامها ، وموضوعات أخرى قيمة . وقد قامت الجامعة باصدار كتاب تضمن ملخصات للبحوث المقدمة والتي ستظهر كاملة في كتاب ضخم تصدره الجامعة قريباً . وقد شارك في مداولات هذا الاجتماع الطبي ما يزيد على مائة طبيب وممرض وممرضة من مركز الظهران الصحي بأرامكو ، كما حضر جلسات الاجتماع العديد من الأطباء العاملين في المستشفى العسكري للقوات المسلحة في مطار الظهران ومستشفى الخبر التعليمي والمستشفيات الحكومية والأهلية في المنطقة الشرقية .

ومن أهم أحداث الاجتماع الطبي السعودي السابع التي أضافت بعداً علمياً وتقنياً غير محدود هو معرض المعدات والعقاقير الطبية الذي شاركت فيه شركات الأدوية والأجهزة الطبية العالمية حيث عرضت أحدث ما توصلت اليه التقنية الحديثة في هذا المجال . كما ساهم فيه بعض الشركات الوطنية وجامعة الملك فيصل والحرس الوطني . هذا وقد أقيم معرض للكتاب الطبي ، عرضت فيه الكتب والموسوعات الطبية التي صدرت حديثاً عن دور النشر المحلية والعالمية . كما عرضت فيه المجلات الطبية والكتب الدراسية المعروفة لدى الطب . وقد شارك في المعرض دار المريخ ، وعكاظ ، والمجلس البريطاني ، ومستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض . وفي الحفل الختامي للاجتماع الطبي السعودي السابع تحت رعاية صاحب السمو الأمير عبد المحسن بن جلوي ، أمير المنطقة الشرقية ، أعلن الدكتور توفيق التميمي ، عميد كلية الطب والعلوم الطبية ، التوصيات التي أتخذت ، ومنها ادخال مادة التراث الاسلامي كمادة دراسية في مناهج كليات الطب بالمملكة ، وتشجيع اجراء دراسات مشتركة بين علماء الدين والأطباء لايضاح اعجاز القرآن الكريم في العلوم الطبية ، وكذلك ضرورة تحصين الأمهات من الاصابة بالحصبة الألمانية ، وحث الطبيبات على التخصص في علوم الولادة وامراض النساء ، وضرورة الحرص على الوصفات الطبية وكتابة طريقة استعمالها بوضوح .

وبعد ، تلك هي كلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك فيصل بالدمام تبذل أقصى الجهود لتخريج الدفعة تلو الدفعة من الأطباء الاكفاء لسد احتياجات المملكة والوطن العربي من الأطباء ، ورفع المستوى الصحي في أرجاء المملكة □

أوضاع الوزارة في الدولة البويهية ٣٣٤-٤٤٧هـ

بقلم : د. محمد مسفر الزهراني / الرياض

مرت الوزارة العباسية قبل قيام العهد البويهي (١) بثلاث مراحل كان لكل مرحلة منها سمات تميزها عن غيرها، فكان للوزارة في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢ هـ/٧٤٩-٨٤٦م) دور كبير وفعال في ادارة الدولة وتوجيه سياستها ، وانعاش اقتصادها ، فمرتبة الوزارة وقتذاك كانت تلي منصب الخلافة (٢) ، وكان الخليفة العباسي في أغلب الأحيان يفوض وزيره في تسيير أمور الدولة ، فزادت بذلك سلطة الوزير . وفي عصر ازدياد النفوذ التركي (٢٣٢ - ٣٢٤ هـ / ٨٤٦ - ٩٣٥ م) ويمثل المرحلة الثانية ، لم يتمتع الوزراء بالسلطة والنفوذ اللذين تمتع بهما وزراء العصر العباسي الأول ، فقد ازداد النفوذ التركي في هذه المرحلة مما أدى الى اصطدام الوزراء بالقواد الأتراك الذين أرادوا أن يستأثروا بكل شيء في الدولة بما في ذلك اختصاصات الوزراء أنفسهم (٣) ، حتى أن القائد التركي أتا حسن جعل من نفسه وزيراً للخليفة العباسي المستعين بالله (٤) ، كما أن بعض وزراء عصر النفوذ التركي تعرضوا لسخط القواد ونقمتهم ، وعلى سبيل المثال عزل الوزير أحمد ابن الخصيب ، وزير الخليفة المستعين بالله لعدم تنفيذه رغبات قواد الأتراك (٥) . واضطر عبدالله بن محمد بن يزداد وزير المستعين بالله الى الهرب من حاضرة الخلافة خوفاً من بطش أولئك الأتراك (٦) .

ومرت الوزارة العباسية بأسوأ حالاتها خلال عهد الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ - ٩٣١ م) لدرجة أن أثني عشر وزيراً تعاقبوا على تولي هذا المنصب ، ولم يستطع واحد منهم أن يحتفظ به فترة طويلة ، هذا فضلا عن أن بعضهم تولى الوزارة أكثر من مرة (٧) . أما في عهد امرة الأمراء ، وهي المرحلة الثالثة من المراحل التي مرت بها الوزارة العباسية ، فقد أدى ظهور منصب أمير الأمراء الى فقدان الوزارة آخر ما بقي لها من سلطة ، فحرم الوزراء من ممارسة اختصاصاتهم الادارية والمالية ، وتحولت تلك الاختصاصات الى أمير الأمراء وكاتبه (٨) . ويصور ابن الأثير هذا الوضع الجديد بقوله (٩) : « وبطلت الدواوين في ذلك الوقت ، وبطلت الوزارة ، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور ، وانما كان ابن رائق (١٠) وكاتبه ينظران في الأمور جميعها ، وكذلك كل من تولى امرة الأمراء بعده » .

واقتصر عمل الوزير في هذه المرحلة على المشاركة في المواكب والاحتفالات الرسمية (١١) . وفي السنة الأخيرة من عهد امرة الأمراء زالت وزارة الخليفة العباسي منصباً وسلطة ، واكتفى الخليفة بكاتب يدير شئونه (١٢) ، في حين تحول منصب الوزير بعد ذلك الى الأمير البويهي (١٣) . وكان آخر وزراء الخلافة العباسية قبل استئثار بني بويه بالسلطة في العراق هو أبو الفرج محمد بن علي السامري ، ويقول المسعودي عنه (١٤) . « وهو آخر من خوطب بالوزارة في أيام بني العباس الى وقتنا هذا » (١٥) والثابت تاريخياً أن أبا الفرج السامري عزل من وزارة الخليفة المستكفي بالله في شهر ربيع الثاني من عام ٣٣٣هـ - ٩٤٤ م (١٦) .

الوزارة في العهد البويهي

كان للوزارة في النصف الأول من عهد الدولة البويهية (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ / ٩٤٥ - ١٠٥٥ م) شأن كبير فقد شارك الوزراء مشاركة فعالة في ادارة أمور الدولة ، وكان أمراء بني بويه يعتمدون كثيراً على وزرائهم في تنفيذ سياستهم الادارية والعسكرية ، خاصة في فترة حكم عماد الدولة وأخويه ركن الدولة ومعز الدولة ، ثم في زمن عز الدولة بختيار وأبناء عمه عضو الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة . ومن هؤلاء الوزراء الأكفاء أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي وأبو الفضل بن العميد والصاحب اسماعيل بن عباد .

استطاع هؤلاء الوزراء بما لديهم من كفاية ادارية وسياسية أن يكسبوا ثقة الأمراء البويهيين فضلا عن ثقة الناس وتقديرهم ، فحفظوا بذلك مراكزهم الرفيعة ، ومارسوا أعمال الوزارة بحرية تامة في أغلب الأحيان وكان لحسن علاقتهم بالأمراء البويهيين أثر كبير في رفع شأنهم ، وزيادة هيبتهم في نفوس الجند والرعية .

يصف مسكويه (١٧) الوزير أبا الفضل بن العميد بقوله : « كان لوفور عقل أبي الفضل بن العميد أنه كان يداري أمره مع صاحبه ومع عسكره ، ثم يسوس رعيته والممالك التي يراعيها ويدبر الجميع تدبيراً ملائماً لوقته » .

ويقول في موضع آخر (١٨) :

« فلما تولى ابن العميد ، رحمه الله ، وزارة ركن الدولة ، استقام الأمر وضبط أعمال الدولة ، واتبع العدل في ذلك ، وأقام هيبته في صدور الجند والرعية حتى كان يكفيه أن يرفع طرفه الى أحد مستنكراً فترتعد الفرائص ، وتضطرب الأعضاء ، وتسترخي المفاصل » وكان للوزير الصاحب بن عباد الفضل في اعلاء شأن الوزارة في عهد الأميرين مؤيد الدولة وفخر الدولة ، وبلغ من هيبته أن كبار موظفي الدولة كانوا يقفون بين يديه مطرقين لا يتكلم واحد منهم هيبة وأعظاماً لموضعه (١٩) » .

أما الوزير أبو الفتح بن العميد فبلغ من ثقة الأمير ركن الدولة بمقدرته أن فوضه تفويضاً كاملاً في ادارة البلاد التابعة له ادارياً وعسكرياً (٢٠) . فقام بهذه المهمة خير قيام ، وبلغ من علو منزلته أن كبار قواد الجيش كانوا يمشون أمامه اذا

ركب ، ولا يأنف الواحد منهم من تقبيل الأرض بين يديه (٢١).
وكان الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي ، وزير الأمير معز الدولة ابن بويه ذا كفاية في الأعمال الادارية وعلى دراية تامة باختصاصات الوزارة (٢٢) .
لم تستمر هذه الفعالية للوزارة طوال العهد البويهي ، فعندما آل الحكم الى أبناء الأمير عضد الدولة ، ثم الى من خلفهم من الأمراء أخذت الوزارة تعود ثانية الى ما كانت عليه من ضعف وانحلال قبل قيام العهد البويهي ، وبدأ الوزراء يفقدون تدريجياً هيبتهم وتأثيرهم نتيجة للظروف التي صاحبت نزاع أفراد البيت البويهي على السلطة .
كذلك كان لتنافس كبار رجال الدولة على تولي منصب الوزارة أثر سيء على هذا المنصب ، فقد أخذ كل واحد من الطامحين الى الوزارة يعمل بشتى السبل للوصول اليها قبل غيره ، مما جعل الوزراء عرضة للعزل والمصادرة نتيجة للمؤامرات التي كان يدبرها منافسوهم للاطاحة بهم . وقد أحبط الأمير معز الدولة أول محاولة لتنافس كبار رجال الدولة على الوزارة ، وذلك بعد وفاة وزيره ابي جعفر الصيمري سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م حيث عرض عامل الأهواز أبو علي الطبري على الأمير معز الدولة أن يدفع له مبلغاً كبيراً من المال ليوليه وزارته (٢٣) فأخذ منه معز الدولة ثلاثمائة ألف دينار (٢٤) . وقيل مائة وثمانين ألف دينار (٢٥) كدفعة أولى من المبلغ ثم عدل عنه واستوزر أبا محمد المهلبي (٢٦).
ولما آلت أمارة البويهيين في العراق الى الأمير عز الدولة بختيار ابن معز الدولة أخذ كاتباه أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي وأبو الفرج محمد بن العباس يتنافسان على الوزارة ، ونجح أبو الفضل في الحصول عليها في سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م ، بوساطة أحد المقربين للأمير مقابل مبلغ من المال تعهد أبو الفضل بدفعه لشيرزاد في كل سنة (٢٧) .
ولما توفي الصاحب بن عباد وزير الأمير البويهي فخر الدولة بن ركن الدولة ، أخذ أثنان من كبار رجال الدولة يتنافسان على الفوز بمنصب الوزارة ، وهما أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي وأبو علي الحسن بن أحمد بن حمولة ، وعرض الأول أن يدفع مبلغ ستة ملايين درهم في مقابل اسناد المنصب اليه ، بينما عرض الثاني ثمانية ملايين درهم لنفس الغرض ، فرأى الأمير فخر الدولة أن يستفيد مادياً من هذا التنافس ، فأخذ من الضبي أربعة ملايين درهم وأخذ من منافسه ابن حموله ستة ملايين درهم ووزع بينهما أعباء هذا المنصب (٢٨) .
ولا شك أنه كان لهذا التنافس على الوزارة نتائج وخيمة على الدولة والرعية ، فمن الطبيعي أن من يتقلد هذا المنصب بالمال يعمل على استغلاله لتحقيق أطماعه ، وعلى سبيل المثال عمد الوزير أبو الفضل الشيرازي في سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م الى مصادرة أموال الناس ليفي بتعهداته المالية للأمير البويهي وللكاتب الذي توسط له في الوزارة (٢٩) ، حتى أنه وضع الجواسيس والسعاة للتجسس على الناس لمعرفة من يملك مالا لكي يصادره (٣٠) . كما نهج وزيرا فخر الدولة أبو العباس الضبي ، وأبو علي بن حمولة نفس الطريقة فأخذا في مصادرة أموال الرعية ليستردا ما دفعاه من مال للأمير البويهي مقابل توليتهما الوزارة ، حتى قيل انهما استخرجا من مدينة استراباذ (٣١) مبلغ عشرة ملايين درهم (٣٢) .
وكان لسوء معاملة أمراء بني بويه لوزرائهم أثر كبير في اضعاف هيبة الوزارة والحط من شأن الوزراء ، فالوزير أبو محمد المهلبي تعرض لنقمة الأمير معز الدولة ، ففي سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م ضربه هذا الأمير ضرباً مبرحاً (٣٣) . كذلك قبض الأمير مؤيد الدولة على وزيره أبي الفتح بن العميد في سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م وصادر أمواله ، ونكل به ، حيث فقأ احدى عينيه وجدع أنفه وجز لحيته ثم قتله (٣٤) وفي سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م بدأ الأمير عضد الدولة حكمه في العراق بمعاقبة الوزير محمد بن بقية فأمر بأن يشهر على جمل ويطاف به على الجند ثم يطرح بين أرجل الفيلة فقتلته شر قتلة ، لم يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبح اعتداء أمراء بني بويه على وزرائهم أمراً مألوفاً ، فذهب ضحية لهذه المعاملة الجائرة كل من الوزراء البويهيين ، نصر بن هارون (٣٥) وفخر الملك محمد بن خلف (٣٦) ، وأبو سعد بن باكويه (٣٧) ، وأبو محمد بن الساد (٣٨) ، وأبو سعد بن ماكولا (٣٩) ، وأبو القاسم بن ماكولا (٤٠) ، وأبو الفرج محمد بن العباس (٤١) ، وأبو عبدالله بن عبد الرحيم (٤٢) .
كذلك أدى ازديـــاد نفوذ الجند البويهي من ديلم وأتراك الى الحد من نفوذ الوزراء واضعاف شأن الوزارة ، وانتهز الجند فرصة النزاع الذي نشب بين أفراد الأسرة البويهية على السلطة ، واستغلوه لتحقيق مصالحهم الشخصية المتمثلة في مطالباتهم بالمزيد من الأموال ، وكان من الطبيعي أن يتعرض الوزراء لاعتداءات الجند طالما أن الأمراء البويهيين أنفسهم كانوا ألعوبة في أيديهم . وكان كلما أزداد نفوذ الجند زادت تبعاً لذلك مطالباتهم المالية ، حتى أصبح دخل الدولة لا يفي بما يطلبونه من أموال (٤٣) . ويذكر بعض المؤرخين (٤٤) أن دخل العراق في عهد الأمير البويهي مشرف الدولة كان أربعمائة الف دينار بينما كانت مخصصات الجند فقط ستمائة ألف دينار ، مما أدى الى عجز الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي عن دفع مخصصات الجند كاملة ، فطلب من قوادهم أن يتعاونوا معه لايجاد حل لهذه المشكلة المالية ، واقترح أن يتحمل هو مائة ألف دينار من العجز ، ويتنازلون هم بدورهم عن المائة ألف الأخرى ، فلم يستجيبوا له ، فلم يجد بداً من ترك الوزارة ، والخروج من بغداد خوفاً من بطش الجند .
تعرض معظم وزراء العهد البويهي الذين تولوا مهام الوزارة في أواخر القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس الهجري لسخط الجند واعتداءاتهم ، وعلى سبيل المثال عزل الوزير سابور بن أردشير في سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م واعتقل بناء على طلب قواد الجند والحاحهم بحجة عدم صرفه لأرزاقهم (٤٥) .

كما تعرض هذا الوزير لاعتداء الجند مرة أخرى في سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م حيث هاجموا داره ، ونهبوها ، ولم يوافقوا على استمراره في منصب الوزارة الا بعد أن قدم لهم ما طلبوه من أموال (٤٦) .

وفي سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م خرج الجند الديلم على طاعة الأمير مشرف الدولة ، وقبضوا على وزيره أبي غالب الحسن بن منصور ، وكان يرافقهم في مهمة الى خوزستان وقتلوه (٤٧). وتعرضت الوزارة لاسوأ حالاتها في عهد الأمير جلال الدولة فولي هذا المنصب في العشر سنوات الأولى من حكمه عدد من الوزراء ، ولم يستطع معظمهم الاحتفاظ بمنصبه سوى بضعه اشهر بسبب ثورات الجند المتتالية .

كذلك ثار الجند الأتراك سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م على وزير الملك الرحيم ، آخر أمراء البويهيين ، بحجة تأخير الوزير بعض أرزاقهم ، فاختفى الوزيرمنهم ، وأخذ الجند في البحث عنه (٤٨) ، ونادوا في البلد أن من وجد الوزير في داره ، فقد حل دمه وماله ، ومن دل عليه فله مكافأة حسنة ، ثم أخذوا في السلب والنهب والشغب ، حتى تم عزل الوزير وصرف لهم المال المطلوب (٤٩)□

---

(١) تتكون الأسرة البويهية من ثلاثة أخوة هم علي والحسن وأحمد أبناء أبي شجاع بن بويه أحد زعماء قبائل الديلم . وقد نجح هؤلاء الاخوة خلال زمن قصير في الاستيلاء على بلاد فارس والري وأصبهان والجبل ، ثم استولوا في سنة ٣٣٤ هـ /٩٤٥م على مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، وأسسوا امارة وراثية دامت مائة وثلاث عشرة سنة .

(٢) الماوردي : « الأحكام السلطانية » ، ص/٢٢ ، أبو يعلي : الأحكام السلطانية ، ص/٢٩ .

(٣) المسعودي : « مروج الذهب » ، ج/٤ ، ص /٨٤ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١١ ، ص /٨٣ .

(٥) اليعقوبي : « تاريخ اليعقوبي » ، ج ٢ ، ص /٤٩٤ .

(٦) الطبري /ج ١١ ، ص/٨٦ .

(٧) محمد جمال الدين سرور : « تاريخ الحضارة الاسلامية » ، ص ٣٨ – ٤١ ، حسن ابراهيم حسن : « تاريخ الاسلام » ج ٣ ، ص/٢٥٧ – ٢٥٨ .

(٨) مسكويه « تجارب الأمم » ، ج ١ ، ص ٣٥١ – ٣٥٢ ، الهمذاني : « تكملة تاريخ الطبري » ، ج ١ ، ص / ٩٩ .

(٩) « الكامل في التاريخ » ج ٨ ، ص /٣٢٣.

(١٠) محمد بن رائق ، قائد تركي ، جعله الخليفة العباسي الراضي بالله أميراً للأمراء في سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م فاستأثر بكل السلطات في الدولة .

(١١) مسكويه : « تجارب الأمم » ج ١ ، ص /٣٥١–٣٥٢ ، الهمذاني : تكملة الطبري ، ج ١ ص/٩٩ .

(١٢) ابن الأثير : « الكامل » ، ج ٨ ، ص/٤٥٢ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص/٢٩١ .

(١٣) ابن طباطبا : « الفخري في الآداب السلطانية » ص /٢١١ .

(١٤) التنبيه والاشراف ، ص/٣٩٩ .

(١٥) المقصود بوقتنا هذا سنة ٣٤٥هـ وهي السنة التي أتم فيها المسعودي كتابه وهي في نفس الوقت سنة وفاته ، انظر ص /٣٤٦ من كتاب « التنبيه والاشراف » .

(١٦) مسكويه : « تجارب الأمم » ، ج ٢ ، ص /٨٠ .

(١٧) تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص/٣٠١ .

(١٨) مسكويه : « تجارب الأمم » ج ٢ ، ص/٢٨٠ – ٢٨١ .

(١٩) ياقوت : « معجم الأدباء » ج ٦ ، ص/٢٤٤ – ٢٤٥ .

(٢٠) مسكويه : « تجارب الأمم » ، ج ٢ ، ص/١٢٤ .

(٢١) مسكويه : «تجارب الأمم» ، ج ٢ ، ص/٢٧١ – ٢٧٢ .

(٢٢) نفس المصدر : ص/١٢٠ .

(٢٣) مسكويه : «تجارب الأمم» ، ج ٢ ، ص/١٢٤ ، الهمذاني : « التكملة » ، ج ٢ ، ص/١٦٣ .

(٢٤) الهمذاني : « التكملة » ج ١ ، ص/١٦٣ .

(٢٥) ياقوت : معجم الأدباء ، ج ٩ ، ص/١٢١ – ١٢٢ .

(٢٦) مسكويه : «تجارب الأمم» ، ج ٢ ، ص/١٢٤ ، الهمذاني : « التكملة » ، ج ١ ، ص/١٦٣ .

(٢٧) مسكويه : « تجارب الأمم » ، ج ٢ ، ص/٢٣٧–٢٤١ .

(٢٨) ابو شجاع : « دليل تجارب الأمم » ، ص/٢٦٣–٢٦٤ ، ياقوت : « معجم الأدباء » ، ج ٢ ، ص/١١٧ – ١١٨ .

(٢٩) مسكويه : « تجارب الأمم » ، ج ٢ ، ص/٢٣٦–٢٣٨ .

(٣٠) نفس المصدر ، ص/٣٠٨ .

(٣١) استراباذ : بلدة كبيرة من أعمال طبرستان ياقوت : « معجم البلدان » ، ج ١ ، ص/١٧٤ – ١٧٥ .

(٣٢) ابو شجاع : « ذيل تجارب الأمم » ، ص ٢٦٤ ، ياقوت : « معجم الأدباء » ، ج ٢ ، ص/١٢٠ .

(٣٣) مسكويه : « تجارب الأمم » ، ج ٢ ص/١٤٣–١٤٥ ابن الأثير : « الكامل » ج ٨ ، ص/٤٩٩ .

(٣٤) ابن الأثير : « الكامل » ج ٨ ، ص/٦٧٥ ، ياقوت : « معجم الأدباء » ، ج ١٤ ، ص/١٩٤ – ١٩٥ .

(٣٥) ابن الأثير : « الكامل » ، ج ٩ ، ص/٢٣ .

(٣٦) ابن الجوزي : « المنتظم » ، ج ٧ ، ص/٢٨٦ ، ابن كثير : « البداية والنهاية » ، ج ١٢ ، ص/٥ .

(٣٧) ابن الجوزي : « المنتظم » ج ٨ ، ص/٢٧ ، ابن الأثير : « الكامل » ، ج ٩ ، ص/٣٥٦ .

(٣٨) ابن كثير : « البداية والنهاية » ج ١٢ ، ص/٢٥ .

(٣٩) ابن خلدون : « العبر » ، ج ٣ ، ص/٤٤٧ .

(٤٠) ابن الجوزي : « المنتظم » ، ج ٨ ، ص / ١–٩–٧٣ .

(٤١) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص/١٣٢ ، ابن الأثير : «الكامل» ، ج ٩ ، ص/٥٤٢ .

(٤٢) ابن الأثير : « الكامل » ، ج ٩ ، ص/٦١٥ .

(٤٣) مسكويه : « تجارب الأمم » ، ج ٢ ، ص/ ٢٧٩ .

(٤٤) ابن الأثير : « الكامل » ، ج ٩ ، ص/٣٣٥ ، ابن خلدون : « العبر » ، ج ٣ ، ص/٤٤٥ .

(٤٥) ابو شجاع : « ذيل تجارب الأمم » ص/١٨٧ .

(٤٦) ابن الأثير : « الكامل » ، ج ٩ ، ص ١٠٠ ، ابن خلدون : « العبر » ، ج ٣ ، ص/٤٤١ .

(٤٧) ابن الجوزي : « المنتظم » ، ج ٨ ، ص/٣ ، ابن الأثير : « الكامل » ، ج ٩ ، ص/٣٢٣ .

(٤٨) ابن الجوزي : « المنتظم » ، ج ٨ ، ص/١٥٩–١٦٠ ، ابن الأثير : « الكامل » ، ج ٩ ، ص/٥٩٧ .

(٤٩) ابن الجوزي : « المنتظم » ، ج ٨ ، ص/١٥٩–١٦٠ .

منطقاً عذباً بأشواق مذابة

شعر: فهد علي النفيسة / كاليفورنيا

هل تذكرت وهل صنت العهود ؟ … والهوى الموعود هل نال الوعود ؟
وليالينا التي كانت ربيعا … هل شكوت الجدب فيها للورود ؟
والمنى الغدّار . . هل أبحرت فيه ؟ … هل خبرت الريح منه والرعود ؟
وقيود الشوق . . هل أفلت منها ؟ … كيف شان الشوق من بعد القيود ؟

هل تذكرت أغانينا الجميلة ؟ … هل بلغت النبع في وهم الحميله ؟
هل صحبت البدر في الآفاق روحا … عاشقاً يرعى أمانيه الكسوله ؟
هل لقيت النجم في الأسحار يروي … رحلة في الليل قد كانت طويله ؟
والضحى الموعود . . هل أبصرت فيه … بسمة نشوى وأنفاساً عليله ؟

هل تذكرت مسرّات الصبابة ؟ … السمير السمح معسول الدعابه ؟
الرجاء العذب ينساب انسيابا … منطقا عذباً بأشواق مذابه ؟
النسيم الغض يروي الليل عنه … للصباح الحلو آيات الرحابه ؟
ونشيد البلبل الصداح فينا … بهجة ترجو من الصمت الاجابه ؟

هل تذكرت . . وهل حدّثت عني … همسات الشوق في لحن التمني ؟
قصص الأحلام في ليل هوانا … من سنا حسنك أو من عذب فني ؟
طرب النشوة يسري في دجانا … ضحكة نشوى وأرواحاً تغني ؟
والنداءات التي تحنو علينا … ان ضللنا الدرب أو رمنا التأني ؟

هل تذكرت ؟ . . فاني ما أزال … ذاكراً عهد الرضى عهد الدلال
حافظاً فيك أساطير الأماني … يوم كنا لا نرى شيئاً محال
يوم كنا والهوى عذب المجاني … نتساقى بيمين وشمال
يوم أضفينا على الدنيا جمالا … واتخذناها حلياً للجمال

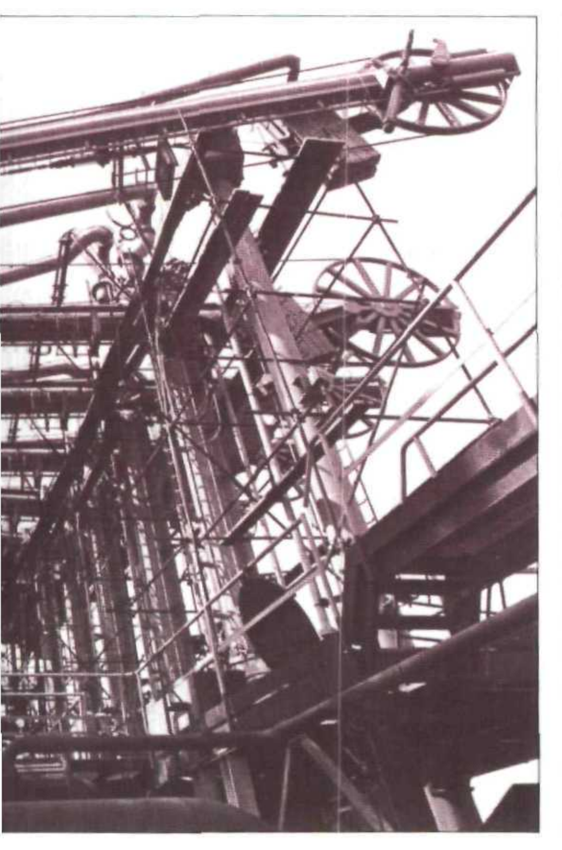


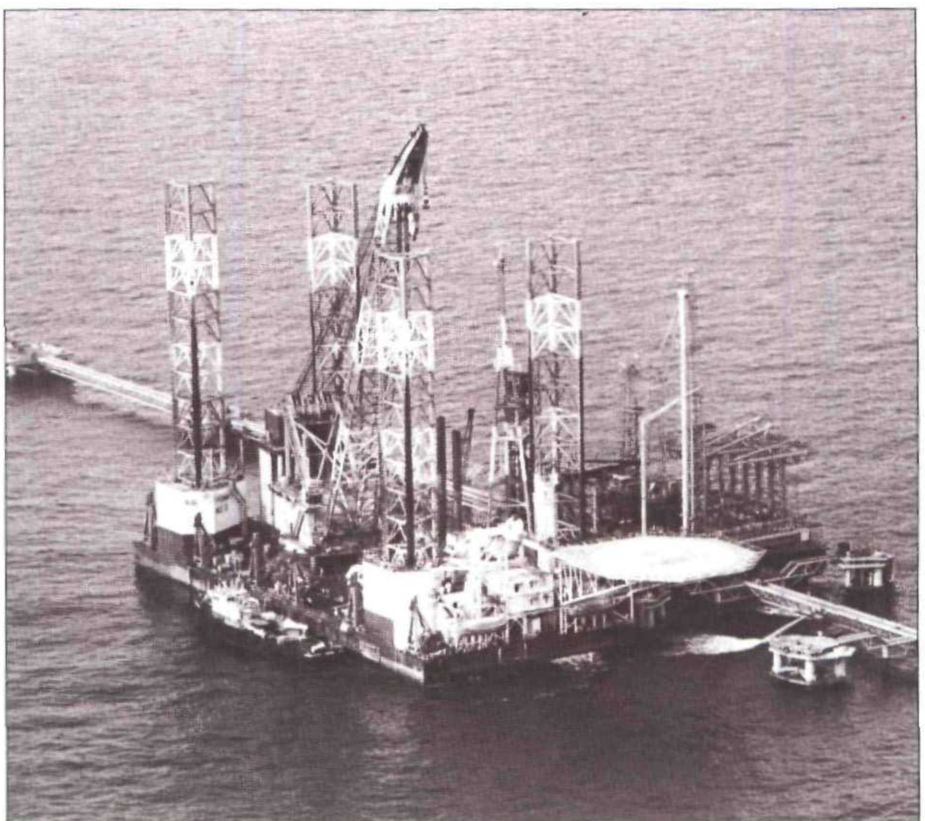
أخبار الزيت

برنامج تحديث الجزيرة الاصطناعية في رأس تنورة

تم مؤخراً وضع برنامج مدروس لتطوير الجزيرة الاصطناعية في رأس تنورة ، ورفع مستوى أدائها من جميع الوجوه . وقد بدىء بتنفيذ مراحل التطوير في مطلع هذا العام ، ومن المقرر انجاز ما يتضمنه البرنامج من أعمال في شهر ديسمبر من هذا العام أيضاً ، اذا سار كل شيء وفق المخطط الموضوع . وبتنفيذ هذا البرنامج تصبح الجزيرة الاصطناعية بأقسامها الأربعة تتمتع بأحدث معايير السلامة ، بناء على ما قاله السيد علي المحارب ، مدير ادارة صيانة الفرض بالوكالة . كما أن برنامج التطوير هذا ، يهدف الى تخفيض تكاليف الصيانة الى حد كبير . وتشتمل أقسام الجزيرة الاصطناعية على أذرع التحميل من طراز تشيكسان ، التي تستخدم لتحميل الزيت الخام في الجزيرة الاصطناعية . وتضم الجزيرة الاصطناعية ثمانية مراس لاستقبال الناقلات التي تتراوح حمولتها الساكنة بين ٦٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠٠ طن .

ويتضمن برنامج تطوير الجزيرة الاصطناعية أعمالاً كثيرة من بينها تركيب أذرع التحميل « تشيكسان » وتزويدها بمرابط يمكن وصلها وفصلها بسرعة كبيرة ، وتجديد بعض الأذرع القديمة ، بالاضافة الى اجراء العديد من الفحوص وأعمال التفتيش والمعاينة ، للتأكد من أن الأعمال قد تمت بكل دقة . هذا ويجري في الوقت ذاته سفع الممرات بين أقسام الجزيرة الاصطناعية بالرمل توطئة لتجديد صبغها . هذا وقد تم قبل اسبوعين اصلاح الدولفين الداخلي الجنوبي في المرسى رقم ١٥ في القسم الثاني من الجزيرة الذي كان قد لحقت به بعض الاضرار من جراء ارتطام ناقلة به . هذا وان الأرصفة التي







ـــا المصـــورة

ترسو عليها الناقلات مزودة بحواجز واقية لتخفيف الصدمات في حال حدوثها . كما ان الأرصفة مجهزة بمعدات مكافحة الحريق . ويقوم مفتشو السلامة في أرامكو بتفقد كل ناقلة قبل بدء أعمال التحميل وأثناءها . وقد استغرق اصلاح الدولفين المذكور نحو ثلاثة أسابيع حيث تم قصه من قعر البحر وسحبه الى الشاطىء ثم اصلاحه واعادته الى مكانه . وقد ساعد في انجاز هذا العمل صندل الاصلاح رقم ١ التابع لأرامكو المزود بمطرقة هيدروليكية قوتها ٣٤٠٠٠٠ رطل – قدم ، ورافعة قوتها ٥٠٠ طن . وفي الوقت الذي كان يجري فيه اعادة الدولفين الى مكانه ، كان يجري العمل في الجزيرة الاصطناعية على اصلاح وتجديد أذرع التحميل الخاصة بوقود السفن . هذا وقد استؤنفت حركة الناقلات في الجزيرة الاصطناعية في ٥ يونيه ١٩٨٢ □



الأنثروبولوجيا في الفكر الإسلامي

بقلم : د. لطفي بركات أحمد / أبها

مفهوم الأنثروبولوجيا — Anthropology مرده إلى لفظ لاتيني مشتق من لفظين هما : « Anthropos » ويعني الإنسان ، ولفظ « Logos » ويعني علم .. ومن ثم فان الانثروبولوجيا بمعناها الاشتقاقي هي علم الانسان من حيث هو كائن فيزيقي واجتماعي وثقافي (١) .

وفي فكرنا الإسلامي ، يعتبر كل من البيروني والآلوسى من رواد الانثروبولوجيا ، فالأول له العديد من البحوث والدراسات الهامة في مجال الانثروبولوجيا ، نذكر منها الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة حيث وصل إلى الهند وأقام بين أهلها عشرات السنين وتعلم لغتهم وأطلع على أساليب حياتهم وتمثل حضارتهم وبذلك سبق كل من ويسلر ولوي وكروبر في الكشف عن منطقات ثقافية متعددة وما تحتويه من ملامح وأنساق اجتماعية وأفكار غيبية متباينة (٢) .

ولقد توصل البيروني من خلال دراساته الميدانية الممتدة على المجتمع الهندي إلى عدة حقائق يمكننا ايجازها على النحو التالي :

اولا : عقد دراسة مقارنة بين اللغة العربية واللغة الهندية حيث أبرز أوجه الاختلاف بينهما من حيث مخارج الحروف ومن حيث الشكل وطريقة الكتابة ، فالهنود يبدأون الكتابة من اليسار إلى اليمين على عكس العرب الذين يبدأون الكتابة من اليمين إلى اليسار (٣) .

ثانياً : حلل البناء الاجتماعي للمجتمع الهندي في جزئياته وكلياته وعلل كثيرا من الظواهر الثقافية السائدة فيه آنذاك وتتبع تطورها وردها إلى أصولها ولم يغفل ربط تلك الظواهر الثقافية بعضها ببعض ، فقد ربط مثلا بين انغلاق المجتمع الهندي عن المجتمعات الأخرى وتعدد لغاته وتباين عاداته وتقاليده وقيمه وأنماط سلوكه المتعددة الأوجه .

ثالثاً : حلل القيم السلوكية السائدة في المجتمع الهندي باعتبارها مقاييس توجه السلوك الفردي والجمعي وتتمثل فيها وسائل الضبط والتوجيه والتقويم في المجتمع ، كما أبرز أن كل القيم السلوكية التي تنظم الحياة الثقافية في المجتمع الهندي مردها إلى التآزر والتكامل بين القانون والأخلاق والمعتقدات الدينية ، وبذلك كان له فضل السبق على دراسات « مين » عن المجتمع الهندي والتي أوضح فيها فعالية هذا التآزر والترابط والتكامل (٤) .

رابعاً : حلل المعتقدات الدينية في المجتمع الهندي وأوضح اعتقاد غالبية الهنود في وجود قوة لا تدرك بالحس وانما تعقل بالنفس وتعرف هذه القوة باسم ايشفر ، كما حلل ظاهرة عبادة الأصنام في بعض قطاعات المجتمع الهندي وخاصة عند العامة ، وأبرز الطقوس المختلفة المصاحبة لتلك الخرافات الثقافية والتي تبلغ حد اراقة الدماء بين أيديهم تقربا إليها . كما أكد أن مثل تلك الخرافات الثقافية هي المحور الأساسي الذي ترتكز عليه الجوانب الاقتصادية والثقافية والتربوية للمجتمع الهندي ، وهذه النتائج التي توصل إليها البيروني ، أكدتها دراسات « دي كولانج » فيما بعد عن الحضارة الهندية (٥) .

كما يعتبر الآلوسي من الأنثروبولوجيين العرب الذين اهتموا بدراسة المجتمع العربي في الجاهلية والإسلام ، حيث كشف عن بعض العادات التي انتشرت في المجتمع العربي قبل الإسلام ، ومنها وأد البنات التي وضحت بصورة ظاهرة عند قبائل طي وكنده وربيعة ، وعلل أسباب انتشار هذه الظاهرة حيث ردها إلى عدة عوامل منها عامل الخوف من العار ، وعامل تشوهات الخلقة ، وعامل الفقر ، ثم أبرز دور الإسلام في احداث تغير ثقافي نحو الأفضل حيث نزل قوله تعالى : « **ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا** » كذلك قام الآلوسي بتحليل أشكال

الزواج التي كانت سائدة عند العرب في الجاهلية كزواج الاستبضاع وزواج الرهط دون العشرة بامرأة واحدة ثم أبرز دور الإسلام في تحريم هذه الأنواع من الزواج ، ولقد أفاض الآلوسي في «مؤلفه بلوغ الأدب في معرفة أصول العرب» ، الحديث عن بعض عادات العرب في الجاهلية مثل الميسر والاستقسام بالأزلام والنسيء ، كما حلل أنواع العلوم المختلفة التي كانت سائدة عند العرب آنذاك وقسمها إلى علم الأنساب وعلم القيافة والعيافة وعلم الفراسة . الأول يبحث في أثر الألفة والتعاطف بين القبائل العربية في الانتصار على الأعداء ، والثاني يبحث في قيافة الأثر وقيافة البشر وتتبع آثار الأقدام ، والثالث يبحث في كيفية الاستدلال بهيئة البشر على اتحاد شخصيته في النسب والولادة كما أشار الآلوسي إلى علمي العرافة والزجر حيث يبحث أولهما في أمور الغيب وثانيهما في الاستدلال بأصوات الحيوانات وسائر أحوالها على الحوادث والتنبوء باستعلام الغيب .

وإذا كنا قد عرضنا بشيء من التفصيل إلى الدراسات الانثروبولوجية عند البيروني والآلوسي فهناك أيضاً العديد من الدراسات في هذا المجال التي يتضمنها الفكر الإسلامي يمكننا رصد بعضها على النحو التالي :

• دراسة أبو الحسن المسعودي التي ظهرت في مؤلفه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» والتي حلل فيها تعدد الأجناس والسلالات وسبق في ذلك بعشرة قرون دراسة «تيودور فايتز» عن الأجناس والسلالات في مؤلفه المعروف انثروبولوجيا الشعوب البدائية (٦) .

• دراسة اليعقوبي التي ظهرت في مؤلفه «السلوان» الذي وصف فيها شعوب مصر وأرمينيا والهند وقدم في هذا الصدد عدة ظواهر ثقافية جديرة بالبحث والتحليل .

• دراسة ابن حوقل في مؤلفه «المسالك والممالك» التي تعتبر مرجعا لعلماء الانثروبولوجيا عن دولة القرامطة ونظمها الثقافية والاقتصادية والسياسية .

• دراسة الشريف الادريسي في مؤلفه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» والتي كان لها فضل المشاركة في نقل التراث العربي إلى أوروبا .

• دراسة ابن بطوطة في مؤلفه «تحفة الأقطار في غرائب الأمصار ومصائب الأسفار» والتي احتوت على تحليلات رائعة لأسفاره التي استغرقت زهاء ثلاثين عاما في ربوع الهند والسند وافغانستان والصين ومصر وشمال افريقيا .

كذلك فقد قدم الانثروبولوجيون المسلمون المعاصرون ، العديد من الدراسات الانثروبولوجية الرائدة والتي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، دراسة علي عبد الواحد وافي بعنوان «الأضحية والقرابين» التي نشرت في مجلة الشئون الاجتماعية بالقاهرة في مارس عام ١٩٤٠ ، ودراسة السيد محمد بدوي بعنوان «السحر وعلاقته بالدين عند الشعوب البدائية» والتي نشرت في مجلة كلية الآداب بجامعة الأسكندرية عام ١٩٤٨ ، ودراسة عبد العزيز عزت بعنوان «تطور المجتمعات المتأخرة» والتي نشرت في القاهرة عام ١٩٥٥ ، ودراسة حامد عمار بعنوان : « في بناء البشر ، دراسات في التغير الحضاري والفكر التربوي» نشرت عام ١٩٦٨ في القاهرة ، والدراسات التي قام بها سيد عويس عن ملامح المجتمع المصري المعاصر ، ظاهرة ارسال الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعي وهما من مطبوعات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في القاهرة نشرتا عام ١٩٦٥ ، ودراساته عن نظرة الريفيين المصريين نحو ظاهرة الموت والموتى ، هتاف الصامتين ، ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات في المجتمع المصري ، نشرت عام ١٩٧١ .

كما قدم محمد الجوهري دراسة عن السحر الرسمي والسحر الشعبي نشرت في المجلة الاجتماعية القومية عام ١٩٧٠ في القاهرة ، وقدم محمد عبده محجوب دراسة عن انثروبولوجية المجتمعات البدوية نشرت عام ١٩٧٦ .

كذلك قدم أحمد أبو زيد عديدا من الدراسات الانثروبولوجية نذكر منها «الانثروبولوجية والقانون» ، «مقدمة لدراسة القانون الجنائي في المجتمعات البدائية» ، «المرأة والحضارة» ، دراسة أنثروبولوجية باحدى قرى الصعيد ، وقدم عبد الله لطفيه دراسة بعنوان «بيتين : قرية أردنية» ، دراسة للنظم الاجتماعية والتغير الاجتماعي في مجتمع تقليدي وهي دراسة باللغة الانجليزية نشرت عام ١٩٦٠ .

وسنكتفي بتحليل عام لدراستين من تلك الدراسات ، الأولى لأحمد أبو زيد التي يحاول فيها ربط ظاهرة الثأر ببقية الظواهر الثقافية الأخرى مستخدما في ذلك منهج التحليل الوظيفي ، ولقد تطلبت هذه الدراسة تحليل المكونات البيئية والثقافية والاقتصادية لهذه القرية حيث كشفت عن عدد السكان وزمام الملكية فيها وطرق الري على مدار العام وأنواع المحاصيل والنسق القرابي والأسري في هذه القرية ، ويرد في دراسته هذه استمرارية ظاهرة الثأر إلى التوازن الكمي بين الأسر المعتدى عليها والأسر المعتدية ، كما أوضح أن الاعتداء على عضو في أفراد الأسرة إنما يعني اعتداء على الأسرة كلها وما يترتب على ذلك من انقاص للمركز الاجتماعي للأسرة المعتدى عليها وارتفاع هذا المركز للأسرة المعتدية واسترداد لمكانتها الاجتماعية بين الأسر الأخرى .

وهذا يؤكد أن النسق القرابي هو المحور الرئيسي الذي ترتكز عليه كل مظاهر الحياة الثقافية للقرية كلها .

والدراسة الثانية لعبد الله لطفية التي سبق الاشارة إليها والتي قامت على أساس الملاحظة المشاركة لقرية بيتين الأردنية بعد عودته إليها بعد عشرين عاما من الاغتراب حيث لاحظ حدوث تغير ثقافي ملحوظ في مختلف مجالات القرية ، ورد هذا التغير إلى ما حمله المهاجرون في سمات وعناصر ثقافية جديدة إلى قريتهم ولقد تأثر تبعا لذلك النسق القرابي نتيجة الهجرة والعودة بثروات وخبرات ثقافية جديدة حيث أدت إلى حدوث تخلخل في التماسك الأسري في هذه القرية ، واحلال الانتماء الطبقي محل الانتماء الأسري .

كما أوضحت هذه الدراسة الزيادة المطردة في معدل الزواج من بنات العائدين نتيجة لما يحققه ذلك من فرص الهجرة إلى الخارج والعودة بامكانيات مادية وثقافية ملحوظة ، كذلك اشارت هذه الدراسة إلى التغير الواضح في وظيفة المصاهرة من ناحية وفي مفهوم المكانة الاجتماعية من ناحية أخرى . كما أوضحت أن المكانة الاجتماعية للأسرة لم تعد المعيار النهائي للزواج من أفرادها ، بل حلت محلها معايير أخرى منها الحصول على جنسيات غربية وصولا إلى إمكانية تغيير الوضع الاجتماعي □

الأستاذ عزيز ضياء

أجراه : علي الدميني / هيئة التحرير



هناك من تجلس اليه في الزيارة الأولى فيحدثك عن حياته وفكره ورؤاه ، فتخرج أنت وحدك بالتصور الذاتي الخاص لهذه الحياة وخطواتها المتعرجة ، والأستاذ عزيز ضياء أحد أدباء رعيلنا الأول .. تستأنس بآرائه والحوار معه ولكنه يتميز بشيء آخر . انه يستدرجك الى الحديث ويبدأ الحوار معك متسائلا عن خلفيات الحدث الفلاني والظاهرة الفلانية ويصغي اليك كأجمل ما يكون الاصغاء .. يجادلك بايناس تتحسسه في ملامحه وارتياح تلمسه في نبرات صوته . انه يرصد وعي الآخرين ويبحث عن خطوط تقاطع الآراء المشتركة وهو بذلك يتمم مسيرته الأدبية المتواصلة والمرتبطة بالحياة والتغير رغم تعب السنين ومشاغل الحياة وأعباء حمل الكلمة التي يتمنى أن يؤدي واجبها كاملاً .

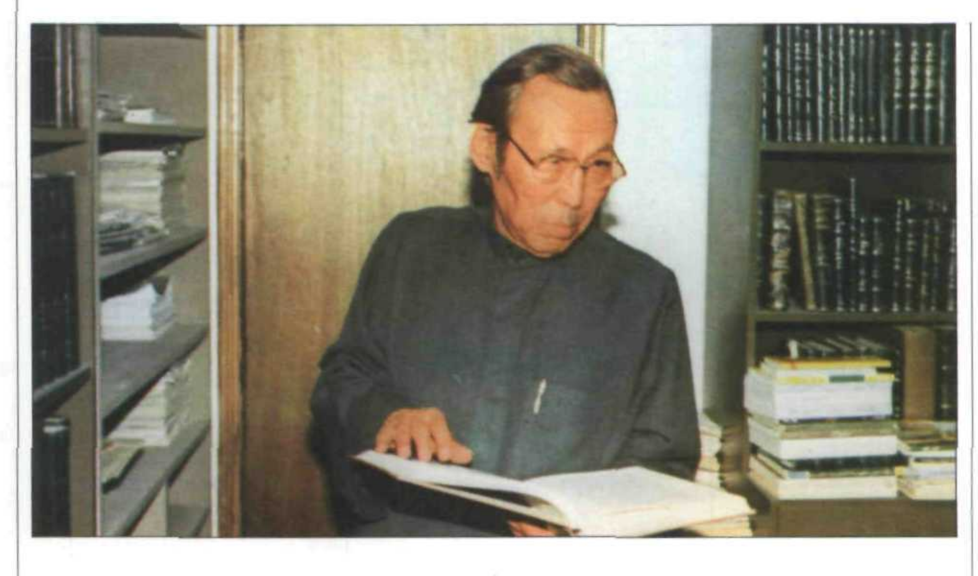
رحلة قصيرة مع الأستاذ عزيز ضياء في هذا الحوار الذي كتبت أسئلته وتركتها له ليجيب عنها حين يختلس جزءاً من وقته المزدحم بالكثير من المشاغل والارتباطات ..

■ لنتحدث أولا عن تجربتكم الحياتية والثقافية ..

□ تجربتي الحياتية ، أكتبها في قصة يمكن أن أقدمها للنشر قريباً . ولذلك أفضل أن لا أشغل وقتكم أو وقتي بالحديث عنها . ولكن يمكن أن ألخصها لكم ، في انها كانت حافلة بمحاولة تجاوز الواقع الى الحلم ، وهو ما اصطلحنا على أن نسميه (الطموح) . والحلم — أي حلم مستقبلي — ليس بالضرورة هو الأفضل دائماً ، اذ ما أكثر ما يتكشف عن الأردأ ، أو حتى الأرذل . ومع ذلك فان صدمة الاكتشاف عندي ، لم تثبط الاصرار على الاستمرار في المحاولة . واعتقد أن لا تستكثر على أن أقول اليوم ، وقد تجاوزت الستين ، اني لم انقطع عن المحاولة ، بل لا يبدو اني سانقطع عنها ، ما دمت أدب على سطح الأرض .

أما تجربتي الثقافية ، فأحسن ما أصفها به ، انها كانت وما تزال احساساً صادقاً وعميقاً بالجهل الذي لم أفقد قط الرغبة في التخلص منه والخروج من ظلماته ... كثيراً ما قلت أني مجرد طالب علم ... ولكني أشعر اليوم — أكثر من أي وقت مضى — أني أعطيت نفسي صفة لا أستحقها ، لأني لم أتمتع ، في الحقيقة ، بالقدرة على تكريس وقتي وحياتي لطلب العلم .. شغلت — وما زال — بمطالب العيش التي لم تسط فقط على رغبتي في التخلص من الجهل ، وانما أيضاً ، وبأكبر قدر من توحش السطو والاغتيال على عناصر القضايا الفكرية التي رأيتها واحسست الحاحها على ذهني ، ولكني عجزت عن معالجتها بعمل فكري ... فاذا صارحتك بأني حزين .. أتمزق حسرة أحياناً ، على أني لم أكتب بعد ، معالجة لأي قضية من هذه القضايا ، فاني أزيح الستار عن حقيقة المأساة في نفسي وربما في نفوس أمثالي ممن مشوا الدرب الطويل نفسه .

■ أنتم أحد الأصدقاء الحميمين الذين رافقوا مسيرة الأديب الكبير المرحوم حمزة شحاتة ، ومن هذا المنطلق نود أن نتحدث عنه وعن حياته وفكره من خلال المحاور التالية : كيف نبغ حمزة شحاتة فكراً وفناً في بيئة متخلفة لم نجد فيها أحداً من أقرانه يقاربه قدرة شعرية وصياغة أدبية وفلسفية خاصة ؟



□ أظن أن النبوغ ظاهرة يصعب تفسيرها . . يصعب أن نتساءل كيف نبغ فلان ، ليس فقط في بيئة متخلفة ، وانما في كل بيئة على الاطلاق . . لا نستطيع مثلا أن نفسر كيف نبغ « اديسون » في اختراع المصباح الكهربائي والفونوغراف . . أو كيف نبغ « اينيشتاين » في اكتشاف نظرية النسبية أو غيرها من قوانينه الرياضية ، كما لا نستطيع أن نقول : لماذا لم ينبغ المئات والألوف ممن كانوا يعيشون البيئة نفسها ، والظروف نفسها ، التي كان يعيشها اديسون واينيشتاين .

ومع ذلك يمكن القول ان حمزة شحاتة رحمه الله كان فريداً في قدرته على هضم ما يقرأ وكان يحسن اختيار ما يقرأ ، ثم القدرة على الاستنباط والتخريج والقياس من عناصر الموضوع أو القضية الفكرية التي يقرأ عنها . وهذا الى جانب شغفه العجيب والفريد أيضاً بمناقشة وحوار الفكرة التي تعرض له أو تطرح عليه . . لا استبعد انه قـد تأثـر بأسلوب « أفلاطون » في الحوار . . ولا تستغرب أن يستوعب حمزة أو غيره أسلوب أفلاطون ، أو غيره من فلاسفة الأغريق ، وهو لا يعرف لغة أجنبية . اذ كانت مجلة « المقتطف » ، في أوائل الثلاثينات تنشر بحوثاً قيمة بأقلام كبار العلماء عن الفلسفة اليونانية ومنها فلسفة افلاطون في جمهوريته أو فيما يعرف باسم « المائدة — Dinner Party » .

ولست أدري لم ، أو كيف حكمت على بيئة حمزة ، أو بيئة رصفائه بالتخلف ؟ قد يكون لكلمة « تخلف » عندك مفهوم معين أكاد لا أراه . . . اذ الواقع ان حمزة لم يكن المثقف الوحيد ، أو الشاعر الوحيد في تلك الأيام . . حسبك أن تذكر ، أو أن تعلم أن رعيلاً من المثقفين قد سبق حمزة الى الظهور كأدباء وشعراء ورجال فكر ، منهم الأستاذ محمد حسن عواد رحمه الله ، وقبله المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان ، والأستاذ عبدالوهاب آشي ، والأستاذ محمد سعيد عامودي والأستاذ عمر عرب . . حمزة ظهر بعد هؤلاء ، وكان شاعراً دون شك ، ولكن محمد حسن عواد كان شاعراً كبيراً ورجل فكر أيضاً والذين ذكرتهم ، ومعهم آخرون في جده ومكة ، كانوا يمثلون الحركة الفكرية أصدق تمثيل . فالبيئة التي ظهر فيها حمزة لم تكن متخلفة عنه . ولم يكن هو متقدماً أو متفوقاً عليها . يمكن أن تقول أن عطاءه الفني كان متميزاً ، وان قدراته كانت متعددة في مجال الشعر ، والنثر ، وفي الحديث والحوار ، وكانت له تأملاته الفلسفية الخاصة ، ولكن هذا لا ينفي وجود الآخرين من رصفائه وممن سبقوه في الظهور .

■ ما سر انطفاء الشعلة الملتهبة في دمه وقلبه وتحولها الى اجترار حزين وألم يائس وانتهائها باعتزال الحياة الثقافية والعزوف عن النشر ؟

□ لا أعرف أن شعلة الفن ، والفكر قد انطفأت في حمزة ، ولا أعرف أنها قد تحولت الى اجترار حزين وألم يائس . . . ربما قيل هذا عنه لأنه اعتزل الناس فترة طويلة من الزمن ولكن اعتزال الناس لا يعني انطفاء الشعلة وانحسار التوهج الفكري في ذهنه ثم ، اعتزال الناس ، لا يعني اعتزال الحياة الثقافية . . هذا لم يحدث قط ، اذكر مثلا انه قد استخدم من يقرأ له ساعات من النهار ما يختاره من الكتب ، وقد ظل على ذلك فترة طويلة ربما امتدت الى آخر أيامه رحمه الله .

اذا كان المقصود بما تقول — انه لم ينشر ، فحمزة عرف بزهده في النشر ، كما عرف عنه ، صعوبة رضائه عمّا يكتب من الشعر أو النثر ، فكثيراً ما مزّق ما كتب .

واما اعتزال الناس ، فكان نتيجة طبيعية لضعف بصره ، وهو شديد الحساسية ، يزعجه كثيراً أن يظهر متوكئاً على من يقوده من مكان الى آخر .

■ هل صحيح انه طلق الشعر في سنواته العشر الأخيرة ، حيث كنا قد قرأنا حواراً معه قال انني لم أسعد في حياتي قط كسعادتي بتطليق الشعر ؟

□ لا أعرف أنه طلق الشعر في أيامه الأخيرة ، ولكني لا أدري ان كان قد كتب شعراً في تلك الأيام .

■ هل كرم شحاته كما يجب وهل لقي الاحتفاء الذي يليق به ؟

□ لم يكرم حمزة ، كما لم يكرم محمد حسن عواد ، وحكاية التكريم هذه غير واردة في حياتنا للأسف . ولكن هذا لا يعني ان المثقفين لم يشعروا بقيمة الشاعرين الكبيرين ومكانتهما . ولعلك تذكر كيف امتلأت الصحف في المملكة ، بمقالات الرثاء طافحة بالثناء والتكريم بعد وفاة حمزة ، ثم بعد وفاة العواد . . ومع ذلك ، فان ما كتب عن حمزة حتى اليوم يظل هامشياً — اذا لم أقل تافهاً — وعلى الأخص بعد أن نشرت مؤسسة تهامة محاضرته التي اعتبرها واحداً من أعظم الأعمال الفكرية في



مسيرتنا الثقافية .. لم يعن أي كاتب بالتنويه عنها فضلاً عن دراستها .. انها وحدها قبل شعره جديرة بأن يفرغ لها الدارسون ، اذ فيها ما يستحق الدراسة والتحليل ، وكذلك ما يكشف عن منابع فكره من جهة ، وعن اتجاهه الفكري وفهمه لقضايا مجتمعه من جهة أخرى .

لا تقل لي ، لم لا أفرغ لها أنا مثلاً .. فاني أعيش أزمة وقت وزحمة أعمال أدبية وفكرية لا أدري كيف أفرغ لها وكيف استطيع انهائها .. على كل حال لا تنس أن في الساحة اليوم من الأدباء والعلماء والأكاديميين الكبار ، من هو أقدر على أن يفرغ لأي دراسة من أي نوع ... المهم أن توجد الرغبة والالتفاته ، واعتقد أنها ستوجد في يوم ما غير بعيد .. .

■ لك مشاركات في حياتنا الثقافية بشكل عام ، فنقرأ لك تحليلات سياسية قد لا تصل الى مستوى قيمتك الثقافية ، ولكننا نقرأ لك ترجمات جيدة ومحاولات روائية أيضاً ، وانطباعات نقدية ، فأين تجد نفسك : بمعنى أي هذه الأشكال التعبيرية يستطيع حمل مشاعرك وما تود البوح به للآخرين ؟

□ أين أجد نفسي من الأشكال التعبيرية التي ذكرتها ؟ سؤال يمس ما يشبه الجرح الدامي في نفسي ، اذ الواقع اني لم استطع حتى اليوم ، أن أعطي أو أن أبوح بما يعبر عن حقيقة مشاعري وفكري وما يمكن أن يسمى بناء فنياً لهذه المشاعر والأفكار . سوف يظل كل ذلك أحلاماً لا أدري ان كان قد بقي في العمر ، وفي الظروف ما يسمح أن يتيح لي تحقيقها .

■ يقال عادة ان المجتمعات الساكنة لا تخلق بيئة ثقافية صالحة لكاتب الرواية وان المجتمعات المحافظة لا تتقبل القصة القصيرة المباشرة ، ولا الكلمة الشاعرة الواضحة ، فكيف يخرج الروائي والقاص والشاعر عندنا من براثن هذه المعيقات الموضوعية حتى يبدع فناً يصل من خلاله الى قلوب الآخرين ويتحاور مع أفكارهم ؟

□ أعذرني ، فاني لا أفهم ما تعنيه بالمجتمعات الساكنة .. انك تعني على الأرجح المجتمعات المحافظة . فاذا كان هذا ما تقصد ، فقد أوافقك على أن القاص والروائي أو الشاعر في هذه المجتمعات لا بد أن يخضع لقوانين وعادات وتقاليد هذه المجتمعات لا بد أن يطوع فكره لهذه القوانين والعادات والتقاليد ، ولذلك لا سبيل الى أن يعطيك حقيقة فكره وفنّه الا اذا استطاع أن يمارس نوعاً من اللعب على الحبال ، في محاولة كثيراً ما تفشل لتغطية ما يؤاخذ عليه من المجتمع . ومع ذلك ، فان المحاولة قائمة وماضية في طريقها ، ولن تتوقف ، ولا استبعد وجود من يجرؤ على تجاهل قيود وتقاليد المجتمع ، فيعطينا العمل الفني الأصيل ، ولكن لا بد أن يدفع ثمن هذه الجرأة .. وكثيراً ما يكون الثمن باهظاً لا يطاق .

■ ما هو تقويمكم لحركة الأدب الجديد التي يرفع لواءها جيل الشباب وبعض أساتذة الجامعة من نفس الجيل ، وما توقعاتكم لهذه الحركة خلال العشر سنوات القادمة ؟

□ اذا كنت تعني بالأدب الجديد ، هذا الذي نقرأه لجيل الشباب من شعر وقصة ومقال الخ ... فان الطبيعي ان يأخذ حظه من الانتشار ، وأن يجد قرّاءه والعاكفين على دراسته واستيعابه ما دام قادراً على أن (يقول شيئاً) . وبعبارة أخرى ما دام قادراً على توصيل فكره الى القارىء (المثقف) .. بغض النظر عن أسلوب ولغة التوصيل .. قد يختلف الأسلوب ، وقد تختلف لغة هذا الأسلوب عن المألوف من معاني ألفاظ معيّنة ، ولكن ما دامت قادرة على توصيل فكر الكاتب ، فليس ما يمنع أن تجد سبيلها الى المدارك والأفهام .

أما عن توقعاتي لها خلال العشر سنوات القادمة ، فاني أقول ان السوق هي التي تحكم .. ومعذرة للتشبيه ، اذا قلت ان العطاء الفكري ، يظل سلعة ، تعرض الى جانب أمثالها ، فالجيد منها ، لا بد أن يجد من الطلب ، ما يفرضه على الساحة بكل ما فيها من المثقفين ... والجيد في تقديري ، هو الذي يستطيع أن (يقول شيئاً) .. يستطيع أن يوصل فكرة الكاتب أو معانيه وصوره الى القارىء ، بغض النظر عن الأسلوب واللغة . ليس ضرورياً أن يكون الشعر عمودياً وموزوناً مقفى ، وليس ضرورياً أن يكون حريصاً على قواعد البلاغة والبيان من تشابيه واستعارات بمختلف أنواعها ، ولكن لا غنى له عن أن يكون المعنى أو المعاني والصور فيه مضيئة تجد طريقها الى المدارك والأحاسيس والمشاعر وما أكثر الأعمال النثرية ، التي تخرج لسانها بالألوف من قصائد الشعراء القدماء والمحدثين على السواء □

خيال الأمس

شعر: حسن منصور

أردد بعض الأغاني العتيقه   لتطرد عني سوادَ الحقيقهْ
أردد بعض الأغاني لأنّ   بها ذكرياتِ الأماني الغَريقه
أراها ورائي ، بأعماق نَفْسي   كلؤلؤة في البحار العَميقهْ
يَشع سناها فيغمُر روحي   كنسمة صيف تهُبّ رقيقهْ
وتأخُذني في سماء الأماني   أحَلّق فيها بِدنيا طَليقَهْ
بغير قيودٍ بغير همومٍ   بغير أعادٍ لسيْري مُعيقَهْ

°

بأعماق نفسي لآلىءِ ذكْرى   لآلىء عمر طَوته السنونْ
اذا غُصْتُ يوماً اليها فاني   الامِس فيها الصدى والحنينْ
تعيشُ معي في سكون الليالي   وفي ضَحْوةِ الصبْح بين الجفونْ
وأحيا بها في ليالي الشتاء   فيدفأ قلبي وتهْنا العيونْ
وتنمو بقلبي وتُضْحي زهوراً   بنيْسان تزهرُ فوق الغصونْ
ولكن أمدّ يديّ فأصْحو   وليس سوايَ أنَا والسّكون

°

ديارَ الكرام بذكْركِ أحْيا   وأيْنَ ألاقي كأرضِ السلامْ !
عَرَفتُ النّعيم بكَلّ رُبَاكِ   وفي كلّ رُكْنٍ يَطيبُ المُقامْ
يَضُمّك قلبي كأغلى حبيبٍ   وتَهْواك نفسي هَوىً لا يُرامْ
وتبْقَينَ أنتِ المنى المُستَجدّ   وفي القلبِ وجدٌ يفوقُ الكلامْ
تَصرّمَ عُمري عاماً فعَاماً   ومَا زِلْتُ أحْزَنُ في كلّ عامْ
وعيْنِيَ ترنو الى الخَلْفِ شوقاً   ولكنني سائرٌ للأمامْ

°

كأنّي أراقِبُ شيئاً وراءَ السحاب يلوحُ بعيداً بعيدا
ويغمُرُني في الليالِي الظّلامُ   ولَكِنْ أؤمّلُ فَجْرا جديدا
أعانقُ فيه زهورَ بلادي   وألْثُمِ فيه الرّبا والنّجودا
فَهَبْ ليَ يا ربّ عمرا مديدا   لاشْهَدَ فَجْرَ الحياةِ السّعيدا
لأرْقصَ في يوم تلكَ الربوع   هُنالِكَ أهْزِجُ لحْناً فَرَيدا
أعانِقها لَهْفَةً واشتياقاً   وإنّي لَصادٍ أريدُ المَزيدا

أخبار الكتب

* ثمة عناية واضحة باعداد القوائم الببليوغرافية الكاشفة التي تعين الباحثين العرب في حصر مراجعهم بأوفى قدر ممكن من الاحاطة والشمول .

ومن كتب الببليوغرافيا التي صدرت أخيراً : « فهارس الخزانة الملكية في المغرب » وقد أصدر الأستاذ محمد عبدالله عنان المجلد الأول منها وهو يتضمن فهارس قسم التاريخ وكتب الرحلات وقد طبع المجلد في الرباط ، و « الببليوغرافيا القومية التونسية » وقد صدرت منها ثلاثة أجزاء من أعداد دار الكتب الوطنية التونسية ، و « القائمة الموحدة للدوريات العلمية والتقنية العربية في الكويت » وقد صدرت عن معهد الكويت للأبحاث العلمية ، و « قائمة المؤلفات والدراسات حول ابن خلدون » وقد صدرت عن دار الكتب الوطنية التونسية ، و « مخطوطات فضائل بيت المقدس : « دراسة وببليوغرافيا » والكتاب من تأليف الدكتور كامل جميل العسلي ونشر مجمع اللغة العربية الأردني .

* في اطار « المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام » الذي يعده المجمع العلمي العراقي صدرت حلقتان من معجم المصطلحات الفيزيائية وأربع حلقات من معجم مصطلحات علم الحيوان .

* مجمع اللغة العربية بدمشق أصدر طائفة محققة من كتب التراث ، منها « شعر ابي هلال العسكري » جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع وطبع باشراف الاستاذ قدري الحكيم ، و « تاريخ أبي زرعة الدمشقي » لعبد الرحمن بن عمرو النصري من تحقيق الدكتور نعمة الله القوشجاني وطبع باشراف الأستاذ رياض ميلاد ، وطبعة ثانية من « تفسير أرجوزة أبي نواس » لابن جني من تحقيق العلامة الأستاذ محمد بهجت الأثري وطبع باشراف الأستاذ احمد راتب النفّاح ، و « تصنيف العلوم والمعارف » من تأليف المرحوم الدكتور يوسف العش ومراجعة السيدة أسماء زكي المحاسني ، و الجزء الثاني المصور من كتاب « قاموس الأطبا وناموس الألبّا » للطبيب مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري .

* من كتب التراث الأخرى التي صدرت الجزء العاشر من كتاب « الوافي بالوفيات » لصلاح الدين خليل الصفدي وقد حققته الأديبة جاكلين سوابلة بالاشتراك مع الاستاذ علي عمارة ونشر في بيروت ، و « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلّين » لأبي الحسن علي الأشعري وتحقيق المستشرق الراحل هلموث ريتر وطبع بيروت ، وكتاب « المدخل الى علم العدد » وضعه نيقوماخوس الجاراسيني وترجمه الى اللغة العربية ثابت بن قرة وحققه المستشرق ولهلم كوتش ونشره معهد الآداب الشرقية في بيروت و « الأخلاق والسير أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل » لابن حزم الأندلسي من تحقيق السيدة ايفا رياض ونشر جامعة ابسالا بالسويد ، و « شعر الراعي النميري » من تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي والأستاذ هلال ناجي ونشر بغداد، و « شعر ربيعة الرقي » من تأليف الأستاذ زكي ذاكر العاني ونشر وزارة الثقافة السورية . ومما يذكر أن الأديب الأردني الدكتور يوسف بكار سبق له تحقيق «شعر ربيعة الرقي » وصدر في سلسلة كتب التراث التي تنشرها وزارة الثقافة العراقية .

* في تيسير كتب التراث صدر كتابان في دمشق هما « من كتاب الاعتبار » لأسامة بن منقذ وقد اختار نماذج منه الدكتور عبد الكريم الأشتر ، وهو الكتاب الذي حققه من قبل العلامة الراحل الدكتور فيليب حتي ، و « من كتاب الأمالي » للقالي وقد اختار نماذج منه الدكتور عمر الدقاق .

* المأثورات الشعبية وآدابها استأثرت بعناية الباحثين في الأوان الأخير ، فصدرت طائفة من الكتب التي تعالج جوانبها ، منها « حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي » من تأليف الدكتور محمد رجب النجار ونشر سلسلة « عالم المعرفة » التي تصدر في الكويت ، وطبعة ثانية من كتاب « الأمثال العامية التونسية » من جمع المرحوم الدكتور الطاهر الخميري ونشر الدار التونسية ، و « التقاليد والعادات التونسية » طبعة ثالثة للمرحوم الأستاذ عثمان الكعاك ونشر الدار التونسية أيضاً □

بيئة المغول (٢)

وحياتهم الاجتماعية

تضاريس الأراضي المغولية ومناخها والحياة الحيوانية فيها

بقلم د. سعد حذيفة / الرياض

استعرضنا في عدد سابق من "قافلة الزيت" موضوعنا الأول حول "بيئة المغول الطبيعية" وسنتناول في هذا المقام موضوعاً آخر حول التضاريس والمناخ والحياة الحيوانية في الأراضي المغولية .

تكثر في الأراضي المغولية الجبال الشاهقة ، والتلال والسهول المرتفعة ، والصحارى المنبسطة الواسعة . فالجبال العالية تقع في الأجزاء الغربية ، والجنوبية الغربية ، وكذلك في الأجزاء الشمالية والشرقية من البلاد . فنجد أن الجبال والتلال والنجود ، والسلاسل الجبلية تغطي الجهات الغربية والجنوبية الغربية والوسطى والشرقية من منغوليا بمعدل يتراوح في ارتفاع جباله بين ٣٣٠٠ و ١٠٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، بينما نجد أن معدل ارتفاع سهولها يتراوح ما بين ٣٣٠٠ و ٦٦٠٠ قدم فوق سطح البحر ، حتّى أننا نجد أن ما يسمى بالمناطق المنبسطة والّتي تقع الى الشرق من البلاد ، ذات ارتفاع ليس بالقليل . حيث أن أكثر المناطق انخفاضاً « عقدة نوور » ذات ارتفاع يقدر بحوالي ١٨٢٢ قدماً فوق سطح البحر .

وتتمثل أعلى منطقة في الأراضي المغولية في قمة جبل « تابون بوكدو أولا » الواقع في مرتفعات جبال الطائي ، حيث يبلغ ارتفاعها ١٥٢٦٦ قدماً فوق سطح البحر . ويبلغ المعدل العام لارتفاع جبل الطائي ١٢٥٤٠ قدماً فوق سطح البحر ، بعرض قدره حوالي ٢٠٠ كيلومتر . وتتدرج سلسلة هذه الجبال الشاهقة من جهاتها الشمالية الشرقية ، في انحدارها حتّى تصبح سهولا مرتفعة في الجهات الشرقية منها ، في حين أن الجهات الجنوبية الغربية متطرفة في شدة انحدارها . وعلى العموم ، فان سلسلة مرتفعات جبال الطائي الغربية تنحدر — كما قلنا — تدريجياً الى الجهات الشرقية ، من ارتفاع ١٣٢٠٠ قدم فوق سطح البحر غرباً ،

حتى تصبح سلسلة من الجبال ذات الارتفاع المنخفض تسمى « بوجي الطائي » على ارتفاع قدره حوالي ٥٨٠٠ قدم فقط .

ويقع الى الشمال والشمال الشرقي من مرتفعات الطائي ، مرتفعات أخرى تسمى « مرتفعات خنكاي » . وتتميز هذه المرتفعات بكثرة البحيرات والأنهار ، وكذلك فان الغابات تغطي معظم وديان هذه الجبال الكثيرة . وتأخذ سلسلة المرتفعات الجبلية لجبال « خنكاي » بالانحدار الى الجهات الشمالية ، حتى تندمج مع مرتفعات جبال « سايان » السيبيرية .

أما سلسلة جبال « كنتي » والواقعة الى الشمال من البلاد فانها تتدرج في انحدارها الى الجهات الشرقية والجنوبية ، حيث تنتهي من الجنوب في صحراء كوبي ، وفي السهول المغولية من ناحيتها الشرقية ، ويتراوح ارتفاع سهول منغوليـا في هذه الجهة ما بين ١٩٢٠ و ٢٦٤٠ قدماً فوق سطح البحر ، ويتخللها تلال تصل في ارتفاعها الى حوالي ٣٩٦٠ قدماً فوق سطح البحر .

ولعل أجمل جزء في الأراضي المغولية هي المنطقة التي تسمى بوادي البحيرات الكبرى ، والتي — كما قلنا — تقع في الجزء الشمالي من البلاد ، في المنطقة الواقعة بين سلسلة مرتفعات جبال « خنكاي » ومرتفعات « جبال الطائي » العالية . لأن هذا الوادي الكبير تحتضنه من جميع جهاته قمم الجبال الشاهقة ، وتزيد في جماله البحيرات المتعددة ، بشكل طبيعي غاية في الجمال .

أما في أقصى الشرق من الأراضي المغولية فهناك مرتفعات جبال خنكاي ، والتي تشكل قوساً يتجه من الشمال الى الجنوب ، وتتدرج في انحدارها الجنوبي حتى تنتهي في الشمال الشرقي من صحراء كوبي .

أما الجهات الجنوبية من الأراضي المغولية ، فانه على الرغم من أنها ذات علاقة كبيرة بصحراء كوبي فانها — على وجه العموم — لم تكن صحراء جرداء . اذ ليست مناطق كوبي صحراء بالمعنى الدقيق ، اذ أنها في الحقيقة شبه صحراوية بدون أنهار . أما صحراء كوبي فلا تحتل سوى ثلث مجموع أراضي كوبي في شكلها الكلي .

المناخ السائد في منغوليا

وصف لنا « جون الكربيني » المناخ في منغوليا في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) بأنه مناخ متطرف جداً ، فهو ليس مناخاً شاذاً فقط ، بل وغير منتظم . لأنه في أوقات الصيف ، بينما تسود الأماكن الأخرى حرارة عالية جداً ، نجد أن السحب المصحوبة بعواصف رعدية ، وبرق يتلألأ كالشهب المتساقطة من السماء ، تسود أماكن أخرى ، ولا تلبث أن تعم الجو كله بسرعة مذهلة ودون سابق انذار ، وهذا الأمر يؤدي ، في معظم الأحيان ، الى موت الكثير من الناس وأعداد كبيرة من المواشي ، وفي غالب الأوقات تتساقط الثلوج في هذه الأشهر الحارة من السنة (١) ، ويردف القول بأن الأعاصير الباردة تطوح بالخيالة من على جيادهم ، ويصبح من الصعب عليهم مواصلة ركوب دوابهم أثناء هبوب الريح الشديدة . وذكر بأنه عندما تهب العواصف فان القوم يلقون بأنفسهم على الأرض خشية أن تجرفهم الريح لشدة وعنف هبوبها ، وهي محملة بكميات هائلة من الأتربة تنعدم معها الرؤية بالكلية .

أما في فصل الشتاء ، فيقول « جون » بأنه لا ينعم بشيء من المطر ، وان شذت القاعدة وسقط مطر في هذا الفصل ، فانه غالباً ما يكون مصحوباً بتساقط كميات كبيرة من البرد . ويروي حادثة من هذا النوع جرت في فصل الصيف وقعت أثناء وجوده في منغوليا ، قائلا بأنه عندما توج الخان (وكان آنذاك كويوك خان ، في ربيع الثاني سنة ٦٤٤ هـ / أغسطس عام ١٢٤٦ م) هبت عاصفة مصحوبة ببرد ، ونظراً لشدة الحرارة ذابت مياه البرد بسرعة فجرفت مياهها أكثر من مائة وستين شخصاً ، كما اكتسحت معها الكثير من المنازل بما كانت تحتويه من أمتعة (٢) .

تقع الأراضي المغولية ضمن خطوط ودرجات العرض والطول التقريبية التالية : بين ٤٢ و ٥٢ درجة عرضية ، وبين ١٢٠ درجة و ٨٥ درجة طولية . وكما ذكر « جون » ، فان المناخ في منغوليا مختلف ، وشاذ عن مناخ الأقطار الأخرى في العالم التي تقع على خطوط العرض الجغرافي نفسها ولا يماثل مناخ منغوليا سوى مناخ التبت ، وبعض مناطق أواسط قارة آسيا .

وتعود العلة لتلك الاختلافات الشديدة الى علو هضبة منغوليا الكبير عن مستوى سطح البحر أولاً . ثم الى التكوينات غير العادية في تضاريس البلاد ثانياً ، ثم الى انعزالها عن التأثيرات البحرية ثالثاً : فالأراضي المغولية بعيدة جداً عن تأثيرات المحيطات والبحار ، حيث تحجب السلاسل الجبلية المرتفعة تلك التأثيرات البحرية والمحيطية من أن تصل الى داخل أراضي منغوليا . وقد نتج عن ذلك وجود مناخ جاف جداً ، مع تطرف شديد في درجات الحرارة بين الليل والنهار ، وبين الشتاء والصيف .

واذا ما قسنا درجة الحرارة في فصل الصيف فاننا نجدها شديدة التطرف ، ومرتفعة جداً ، وان كانت تتدرج بالانخفاض كلما اتجه المرء الى الجهات الشمالية من البلاد ، وتتراوح ما بين ٥٠ درجة مئوية في الشمال و ٢٥ درجة مئوية في الجنوب . وقد تصل درجة حرارة بعض أيام فصل الصيف الى ٤٠ درجة مئوية . أما معدل الفرق في درجات الحرارة فيما بين الشتاء القارس البرودة والصيف الشديد الحرارة ، فانه يصل في بعض الأحيان الى ٥٨ درجة مئوية . ويصل الفرق فيما بين درجات الحرارة بين الليل والنهار الى حوالي ٦ درجات مئوية . وفي الحقيقة ، فان شتاء منغوليا قاسي البرودة جداً ، تصل درجة الحرارة في وسط أشهر شتائه ما بين ١٢ درجة مئوية تحت الصفر ، و ٣٢ درجة مئوية تحت الصفر تقريباً ، وغالباً ما تصل الى ٥٦ درجة مئوية تحت الصفر تقريباً .

الرطوبة في منغوليا

لم تحظ الأراضي المغولية بنسبة كبيرة من الرطوبة (أمطار أو ثلوج) ، ثم أنه بالاضافة الى قلة نسبة الرطوبة فيها ، فانها فوق ذلك غير مستقرة على وتيرة معينة ، حيث تتراوح ما بين ٣ و ١٥ بوصة في بعض السنوات ، بينما

---

(١) لعل جون يعني هنا تساقط البرد الذي كان غالباً ما يصاحب الأمطار الغزيرة ، والعواصف الرعدية .

(٢) جون البلانو الكربيني ، تاريخ المغول « البعثة المغولية » تحقيق دوسون ، ص/٥-٦.

نجدها لا تصل في سنوات اخرى الا الى ٤ بوصات . وقد أدى ذلك بدوره الى عدم استقرار الأوضاع الزراعية .

أما أوقات حدوث الرطوبة في منغوليا فان حوالي ٩٠ في المائة منها تأتي في فصل الصيف ، ويتمثل ذلك في سقوط كميات كبيرة من البرد ، وأحياناً يتمثل في هطول أمطار مصحوبة بعواصف رعدية ، واعاصير ، وقد تصل الكمية الساقطة في بعض الأيام الى ما يساوي نصف معدلها السنوي . أما بالنسبة الى شتاء منغوليا ، فهو شتاء شديد الجفاف على وجه العموم ، وان كان هناك شيء من الرطوبة في هذا الفصل فتتمثل في تساقط الثلوج ، والتي لا تصل في مجموعها الى ما يساوي ٣ في المائة من معدل الرطوبة السنوي في هذه الأراضي .

ولقد كان بعد الأراضي المغولية عن التأثيرات البحرية العامل الأول في وجود ذلك النقص في كمية الرطوبة التي تعاني منها منغوليا ، هذا بالاضافة الى وجود تلك السلاسل الجبلية الشمالية والغربية الشاهقة العلو ، حيث تقف حاجزاً أمام وصول أية نسبة من الرطوبة الى الأراضي الداخلية في منغوليا ، اذ ان تلك المرتفعات تمتص ما تحمله الرياح من رطوبة ، الأمر الذي نتج عنه تكون غطاء عشبي في أراضي الغابات الغربية والشمالية من البلاد ، هذا بالاضافة الى كونه المصدر الوحيد لمياه البحيرات المنتشرة في هاتيك البقاع ، أما السفوح الجبلية الواقعة خلف الجبال المواجهة لهبوب الرياح ، فانها لا تحظى الا بالنزر القليل من الرطوبة مما جعلها تبدو عارية من الغطاء النباتي تقريباً .

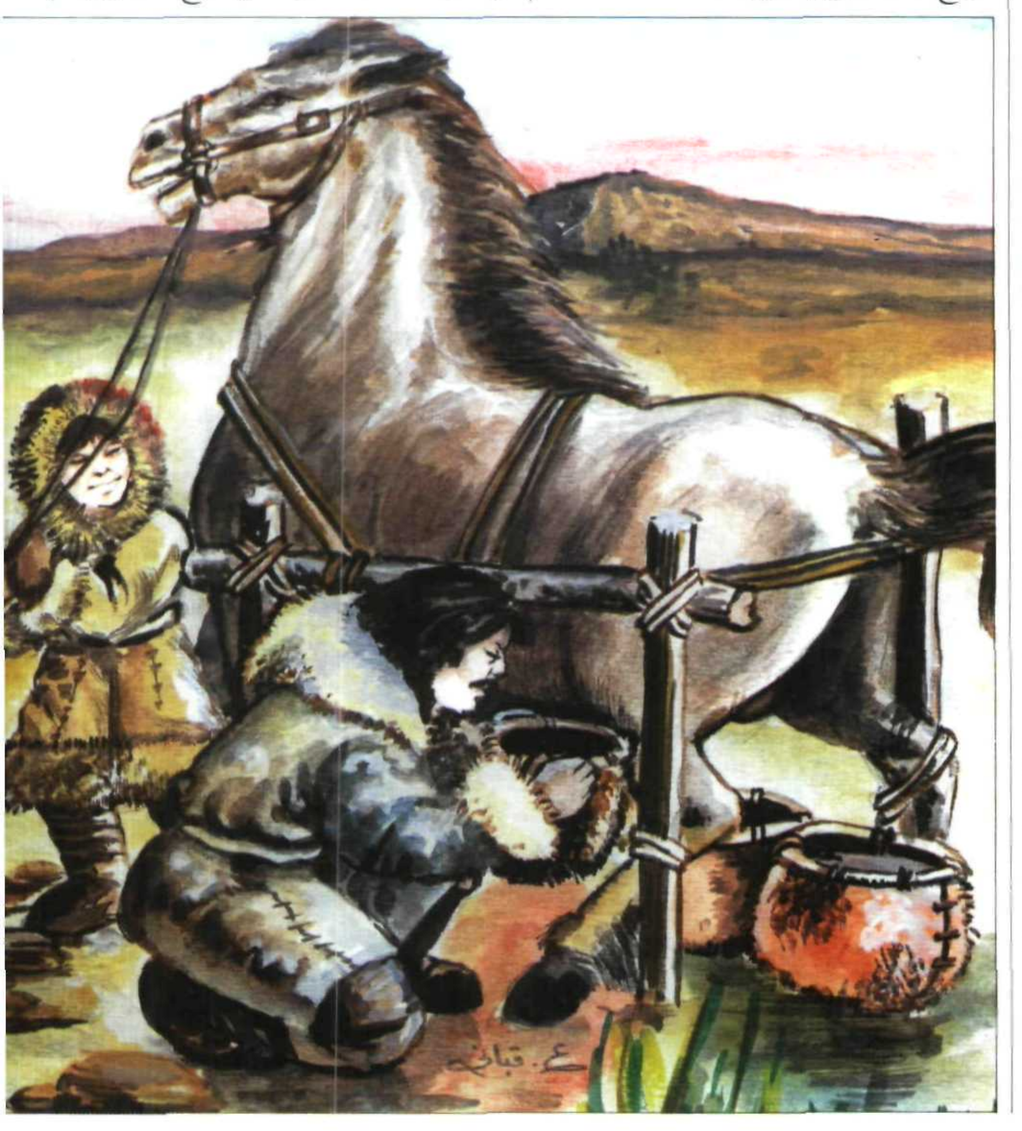
وقد تسبب شتاء منغوليا الشديد البرودة الى تجمد التربة ، ومما يزيد حالة التجمد ، افتقار الشتاء الى تساقط الثلوج كي تقوم بتكوين طبقة عازلة فوق التربة لتخفيف حدة تجمدها . لذلك ، نرى أن حالة التجمد تصل الى اعماق داخل التربة وبالتالي نجد أن تربة ما تحت القشرة العلوية — Subsoil ، تعتبر دائمة التجمد ، مثلها في ذلك مثل تربة سيبيريا . وهذا النوع من التربة الدائمة التجمد تمتد من حدود منغوليا الشمالية الى أواسط البلاد ، بالقرب من الحدود الشمالية للعاصمة المغولية الحالية « أولان باتور » .

فصول منغوليا السنوية

أما بالنسبة الى الفصول السنوية ، فهي واضحة المعالم في منغوليا ، فاذا ما حسبناها حسب الأشهر الشمسية ، واتبعنا في ذلك الأشهر الميلادية ، لوجدنا أن فصل الربيع يبدأ في شهر أبريل ، حيث تبدأ درجة الحرارة في الارتفاع الى ما فوق درجة التجمد ، ويتميز هذا الفصل بشدة هبوب الرياح ، والأعاصير الرملية . فتهب الأعاصير الغربية من على منغوليا ، وتحمل معها كميات هائلة من الرمال ، والأتربة الى ناحية الشرق حتى تصل الى منشوريا والأراضي الصينية الشمالية . ويستمر فصل الربيع لمدة شهرين تقريباً .

أما أشهر فصل الصيف فهي ثلاثة تمتد من يونيه حتى أغسطس . بعد ذلك تبدأ أشهر فصل الخريف . وهي الأشهر المحببة والمفضلة في منغوليا ، حيث تصفو السماء ، وتسمن المواشي ، ويكثر فيها حليب الأفراس بكميات كبيرة جداً ، وهو — كما سيرد معنا — الشراب المفضل لدى الشعب المغولي .

أما فصل الشتاء ، فهو أطول الفصول السنوية المغولية ، حيث تتراوح أشهره ما بين أربعة وخمسة ، وقد يصل الى أكثر من ذلك . وهذا الفصل ، على وجه العموم ، فصل بارد ، وتهب فيه رياح قوية يزول معها ذلك الغطاء الرقيق من الثلج المتراكم فوق التربة ليحميها من التجمد ، لأنه ، وكما هو متوقع ، لا يوجد



أي عائق يقف حائلا امام العاصفة الثلجية التي تهب في سيبيريا بقوة ، لكي تسد ذلك الضغط الواطىء والمنخفض الجوي الذي يسود المناطق الجنوبية ، حيث الهواء الدافىء الذي يهب في جنوب البلاد . ومع هذا ، فان ازالة الغطاء العازل من الثلج الذي يصحبه تجمد التربة ، هو عامل مفيد للرعاة من المغول ، حيث يحافظ على النباتات الرعوية للحيوانات المغولية ، على مدار السنة بكميات كافية .

وعلى وجه العموم ، فانه يمكن القول بأن مناخ منغوليا سيبيري البرودة في الشتاء ، وصحراوي شديد الحرارة في الصيف . أما في فصل الربيع فان درجات الحرارة شديدة التقلب حيث العواصف الرملية المفاجئة ، وانخفاض درجة الحرارة ، والتطرف المناخي الشديد . ولعل فصل الخريف يعتبر من الفصول المفضلة لدى المغول .

أقاليم منغوليا النباتية

تختلف النباتات في منغوليا حسب نوعية التضاريس ، والمناخ ، وخطوط العرض ، ونسبة الارتفاع عن سطح البحر . ويوجد في الأراضي المغولية ، على وجه العموم ، ستة أقاليم مناخية للنباتات وهي :

النباتات الألبية : وهي تنمو وتعيش ضمن نباتات خطوط العرض العالية ، وهذا النوع من النباتات يوجد على ارتفاع يتراوح بين ٦٥٠٠ و ١٠٠٠٠ قدم عن سطح البحر وذلك في المناطق الشمالية ، والشمالية الغربية من البلاد ، وخاصة في مرتفعات السلاسل الشرقية لجبال سابان ، وخنكاي ، وجبال الطائي . ويوجد في هذه المناطق مروج خضر ، ومناطق رعوية خصبة للماشية التي يعتمد عليها الفرد المغولي في حياته .

غابات الصنوبر الجبلية : وهي تغطي منطقة صغيرة المساحة نسبياً وتوجد في الأجزاء الشمالية من سلسلة مرتفعات جبال خنكاي ، وفي منطقة « بحيرة خوبسكو » ، على ارتفاع حوالي ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر .

الغابات ، أو السهوب الجبلية : وتقدر المساحة التي تحتلها هذه النباتات المناخية بخمس الأراضي المغولية تقريباً . وتغطي هذه المنطقة الحشائش والأعشاب التي تمثل مراع جيدة للمواشي . وتوجد هذه المنطقة المناخية في المقاطعات الجبلية من الجزء الشمالي من البلاد .

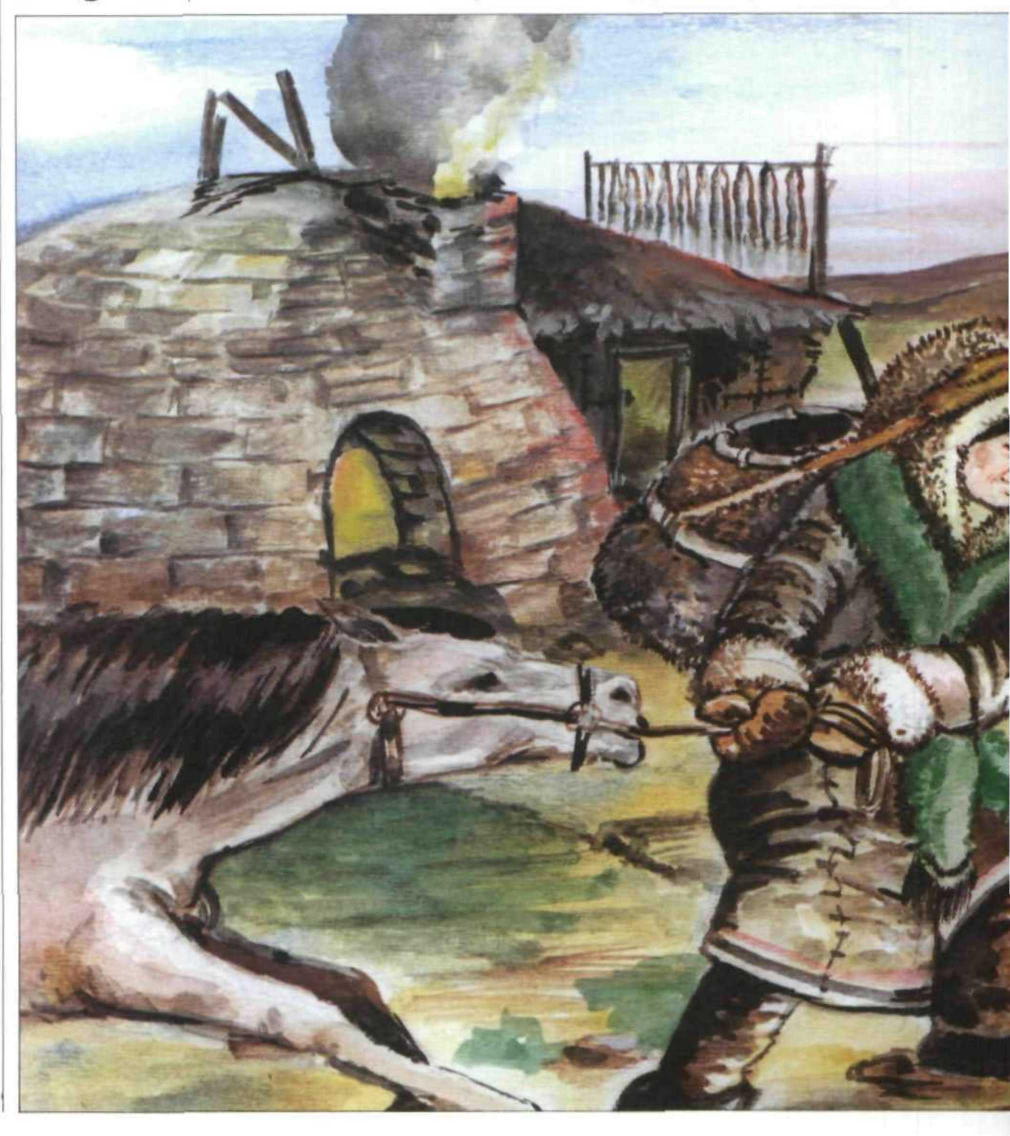
اقليم السهوب أو البراري : ويوجد هذا الاقليم في المناطق الشرقية من البلاد ، حيث يغطي مساحات واسعة ، اذ أن حوالي ٩٠ في المائة من هذه السهوب تعتبر مناطق رعوية من النوع الجيد .

اقليم شبه الصحراوي : ويوجد هذا الاقليم المناخي بشكل رئيسي في الجهات الشمالية من صحراء كوبي ، كما يوجد أيضاً في جزء من وادي البحيرات العظمى . غير أن الأعشاب والحشائش المنتشرة في هذا الاقليم خشنة وذلك نظراً لجفاف المناخ هناك .

الاقليم الصحراوي : ويوجد هذا الاقليم بشكل رئيسي في الجهات الجنوبية الغربية من صحراء كوبي ، كما يوجد على حافات صحراء آسيا الوسطى . وهو تقريباً عار من أي غطاء نباتي ، لأن هذا الاقليم جاف جداً ، ومتطرف في مناخه . وعلى العموم ، فان ثلثي الأراضي المغولية تعتبر أراضي رعوية من النوع الممتاز .

الحياة الحيوانية في منغوليا

يعتمد الانسان المغولي في حياته على الحيوان اعتماداً كلياً ، اذ لا يمكن للمرء هناك أن يعيش بدون الحيوان . لذلك توجد الحيوانات هناك بأعداد كبيرة ولاسيما في المناطق الجبلية وفي الغابات والأدغال ، حيث تكثر الحيوانات





ذات الفراء ، مثل السمور ، والقضاعة (ثعلب الماء) ، والفاقم (او الفاقوم) ، والسنجاب ، والقندس . كما توجد أيضاً الحيوانات ذات الحوافر ، مثل الرو (وهو نوع من الظبي) ، والأيل ، والموظ ، والرنة .

أما في المناطق ذات المناخ شبه الصحراوي وخاصة في الجهات الجنوبية الغربية ، فتوجد فيها حيوانات برية من أهمها حمر الوحش ، والحصان المغولي البري ، حيث يوجد في منطقة « نهر بلكونه » وكذلك الجمال ، وان كان هذا النوع من الحيوانات كان قليل جداً آنذاك .

أما بالنسبة للطيور ، فيوجد في منغوليا أنواع شتى من الطيور البرية ، وخاصة في الغابات ، والسهوب المغولية ، الا أن أكثرها وفرة هو الحجل ، والرومي البري ، كما توجد أنواع كثيرة من الطيور المهاجرة تجذبها كثرة الأنهار والبحيرات — وخاصة في المناطق الشمالية . وأهم هذه الطيور المهاجرة البط ، والوز . أما في الجهات الغربية من البلاد فتسود فيها ، وبشكل رئيسي ، طيور التدرج .

أما فيما يتعلق بالحيوانات الأليفة الداجنة لدى المغول فهي تمثل ثروة حيوانية كبيرة جداً ، وأهم هذه الحيوانات : الضأن ، والماعز ، والثيران ، والبقر ، والجمال ، والخيل . وهنا يحدثنا « جون الكربيني » بأن بيئة المغول غنية جداً بهذه الحيوانات ، وان المغول يملكون أعداداً هائلة من الخيول والأفراس ، لدرجة أن « جون » لا يعتقد بأن العالم في مجموعه يملك عدداً منها يساوي ما لدى المغول .

وحول هذا الموضوع ، وتأكيداً لما رواه « جون » في هذا الصدد ، يحدثنا الرحالة المسلم « شمس الدين بن بطوطة » عن ثروة المغول الهائلة من هذا النوع من الحيوانات وعن مدى اعتماد حياتهم عليها . وقد زار « ابن بطوطة » المغول في اقليم القبتشاق ، وذلك طبعاً بعد أن استقروا ، وكونوا لهم دولا ، منها الدولة أو القبيلة الذهبية هذه التي زارها هذا الرحالة المسلم . ورغم أن المغول انتقلوا الى بقاع كثيرة في العالم ، وكونوا لهم امبراطورية واسعة الأرجاء ، فانهم لم يغيروا شيئاً من صلب حياتهم ، وخاصة ما يعتمد منها على الخيل ، حيث نجدهم يحافظون على طابعها العام في هذا الميدان ، أينما ذهبوا ، وحيثما حلّوا رغم تعاقب السنين وتعدد الأجيال .

يقول ابن بطوطة ، بعد ما يقرب من قرن من الزمن بعد زيارة « جون » لمنغوليا : ان الخيل بتلك البلاد (يعني بالطبع أراضي القبتشاق المغولية) كثيرة جداً ، وان ثمنها نزر ، قيمة الجيد منها خمسون درهماً أو ستون درهماً من دراهمهم ، وذلك ما يعادل صرف دينار أو نحوه . ومن هذه الخيل معاشهم ، « وهي ببلادهم كالغنم في بلادنا ، بل وأكثر ، فيكون للترك (وهو هنا يعني المغول) منهم آلاف منها . ومن عادة الترك المستوطنين تلك البلاد (وحياة المغول لا تختلف عن حياة بقية الأسر المغولية في أية بقعة من بقاع الأرض التي احتلوها) أصحاب الخيل أنهم يضعون في العربات التي تركب فيها نساؤهم قطعة لبد في طول الشبر ، مربوطة الى عود رقيق في طول الذراع في ركن العربة ، ويجعل لكل ألف فرس قطعة ، ورأيت منهم من يكون له عشر قطع (يعني ان صاحب تلك العربة يملك عشرة آلاف فرس) ومن له دون ذلك » . ويقوم المغول بتصدير هذا الحيوان العظيم الأهمية في حياتهم ، الى بقاع شتى من أرض المعمورة في وقته . ويقول « ابن بطوطة » بأنهم يصدرون أعداداً كبيرة الى بلاد الهند والسند ، فتكون الدفعة المصدرة في بعض الأحيان ستة آلاف ، وما فوقها وما دونها ، ولكل تاجر المائة والمائتان ، فما دون ذلك وما فوقه ، حسب قدرة التاجر . وللعناية بهذه الأفراس والخيول يستأجر التاجر لكل خمسين منها راعياً يقوم عليها ويرعاها كالغنم (١) .

ويسمى الخيل المغولي « البوني » ، ويمتاز بالقوة ، والرشاقة ، وخفة الحركة ، وتغلب على طبعه الحدة . كما أن الخيل المغولي له صفتان مهمتان : القوة وشدة التحمل ، واتساع خطاه . ولهاتين الصفتين كان أهل السند والهند ، كما يقول ابن بطوطة ، يبتاعونها لاستخدامها في الحرب ، حيث يلبسون الدروع ، ويدرعون الخيل □

(١) ابن بطوطة ، شمس الدين أبو عبدالله محمد ابن ابراهيم اللواتي ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م ، ص .ص ٣٢٧-٣٢٨ .



راجع مقال «بيئة المغول وحياتهم الاجتماعية»



من المشاريع الحيوية التي نفذتها حكومة المملكة العربية السعودية ، مشروع الري والصرف في الاحساه . راجع « ندوة عن النخيل »

تصوير : علي المبارك .